

درء الكبر والإعجاب للناظر برؤية أحجار الزيت والمعاصر،
لأبي عبد الله محمد بن موسى بن النعمان، دراسة وتحقيق

Preventing the arrogance and admiration of the observer when looking at the oil presses by Abu Abdullah
Muhammad bin Musa bin Al-Nu'man, Study and annotation

المؤلف الأول* عباس بن يحيى

Abbas.benyahia@univ-msila.dz . جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر.

معلومات المقال	ملخص (لا يزيد عن عشرة أسطر) Article info
تاريخ الاستلام: 2026/01/24. تاريخ القبول: 2026/03/11.	كثيرا ما شغل بال ابن النعمان الصوفي تقلب النفس الإنسانية وأمراضها، ويواصل في هذه الرسالة دراستها، فيكرسها لمسألة الكبر والعجب. لكنه يفاجئنا بالخروج عن المنهج العام لدى الوعاظ، من حيث منهج التعاطي، إذ انحرف عنه إلى منهج العرفانيين الذين كثيرا ما نوه بهم، وأخذ عنهم. وهكذا كان منظر معصرة قصب السكر والزيتون لحظة كشف، قادته إلى تأمل مصير المتكبر، وإلى بحث علاجه.
أمراض النفس، التصوف، ابن النعمان، تلمسان، الكبر	
Mental illness, Sufism, Ibn al-Nu'man, Tlemcen, Arrogance	<i>Ibn al-Nu'man, the Sufi, was often preoccupied with the inconstancy of the human soul and its ills. In this treatise, he continues their study, but devotes it to the question of arrogance and self-importance. However, he surprises us by deviating from the general approach of preachers, and their way of addressing this problem, by adopting that of the mystics, whom he often praised and from whom he learned. Thus, the sight of the sugar cane and olive press was a moment of revelation that led him to question the fate of the arrogant and to seek a remedy.</i>

¹ المؤلف المرسل :

مقدمة:

كانت النفس الإنسانية دائما هاجس المفكرين والفنانين والعلماء والمصلحين وغيرهم، وهي مصدر حيرتهم الدائمة، بل إنها القضية الأصعب في تاريخ الفكر رغم التراث الذي حاول دراستها والغوص في مجايلها. ولقد كان المتصوفة من أبرز من خاضوا في قضاياها، وهو أمر طبيعي ومفهوم في ضوء ارتباط مجاهلهم ومنهجهم أيضا بأحوال النفس الإنسانية، وتنقلها في أوضاع مختلفة، سعيًا منهم إلى الوصول إلى معرفة تسمح بترقية النفس والسلوك إلى مقامات ودرجات عليا، وليس تراث الغزالي والمحاسبي والقشيري وابن القيم إلا أمثلة من مدونات ضخمة كُتبت للنفس وأمراضها وتقلباتها، بل حصر البعض التصوف كله في التعامل مع النفس، قال أبو الحسن الشاذلي (ت 656هـ): "التصوف هو تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية"¹، وقد يكون هذا القول ملخصا وفيما لما ارتآه المؤلف في كل رسالته؛ إذ يعدد الكبير مرضا نفسيا يراه خروجًا من مقام العبودية، فهذا هو جوهر الرسالة.

فيتعلق الأمر هنا بتحقيق ودراسة نص صغير، ولكنه فريد من نوعه في تراث ابن النعمان، بل وقليل جدا في تراث الصوفية، ليس من حيث محتواه الفكري، بقدر مسلكه المختلف في تقديم منظوره إلى المسألة؛ إذ يعتمد صورة تمثيلية رمزية من تأمله للطبيعة؛ أي لقصبة السكر والزيتون ومصيرهما بعد الاختيال تحت أحجار المعصرة، إذ يرى فيهما بدائل عن الإنسان المتكبر، الذي ينسى موقعه الحقيقي ويتكبر على غيره، وبديله عندئذ هو بيت العنكبوت في ضعفه ووهنه. فالإشكالية لا تتمحور فقط حول مسألة الكبر والغرور التي حذرت منها النصوص الإسلامية المركزية، كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ولكن بدراسة الطريقة التي سلكها ابن النعمان في مقارنة الموضوع، وارتكازه على التأمل والاعتبار بدل الوعظ المباشر والتقريب. ومن الهام قبل مباشرة دراسة الرسالة وتقديمها أن نقف بإيجاز عند أهم معالم سيرة المؤلف، وشخصيته وآثاره.

1. ابن النعمان التلمساني:

1.1: عصر الفتن والتصوف

في مطلع القرن السابع الهجري، وهي الفترة التي ولد فيها ابن النعمان، كانت مطالع الفوضى والاضطرابات واضحة على العالم الإسلامي شرقا وغربا، فتفككت الدول تباعا، إلى سقوط الدولة العباسية (656هـ) ثم دولة الموحدين (668هـ). ولم تتمكن الأسر التي

¹ الشعراني، *الطبقات الكبرى*، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1/2005، القاهرة، 17/2، وابن الصباغ، *درة الأسرار وتحفة الأبرار*، المكتبة الأزهرية للتراث، 2001، القاهرة، ص: 112، وأحمد بن عباد، *المفاخر العلية*، المكتبة الأزهرية للتراث، 2004، القاهرة، ص: 102.

حكمت آنذاك من استرداد قوة تلك الدول أو توحيد الفضاء الإسلامي الممزق، بل انخرط الجميع في صراعات ونزاعات دموية¹، وإذا أضفنا إليها هجمات الصليبيين شرقا وغربا وزحف المغول، فإن صورة الحالة السياسية قائمة، وتم في نهاية القرن سنة 699هـ تأسيس الدولة العثمانية، التي ما فتئت تتوسع محاولة تجميع ما تناثر وتفكك.

وانعكست حالة الانقسام والاستقرار السياسي على المجتمع، فغرق في الأزمات والفقر والمجاعات والأوبئة، وأثقلت كواهل الناس المكوس والغلاء بسبب الاحتياج المتزايد لنفقات الحروب والنزاعات والترف أيضا، وقد احتفظت لنا كتب التاريخ بصورة الوضع السيئ الذي بلغته المجتمعات الإسلامية آنذاك. غير أن العلوم والفنون عرفت تطورا وازدهارا لافتين، بسبب تشجيع الحكام رغبة منهم في الازدهار وإظهار النبوغ والتفوق، فم إنشاء عدد من المدارس والتكايا كالأشرفية والنورية والأتابكية²، وهو ما سمح ببروز أسماء كبيرة في العلوم والفنون على اختلافها، لكن الوضع البائس لسكان العالم الإسلامي تسبب في رحلة العلماء والأدباء إلى الحواضر الكبرى التي استمرت تنير بضوء خافت على باقي البلاد.

لكن اللافت في هذا المسار هو ازدهار حركة التصوف وانتشاره في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، بل عرف تحولات عميقة في فكره وفلسفته³ مع ابن عربي وابن سبعين وأمثالهما، رغم وجود طرق صوفية لم تسلك هذا المسلك كالأشاذلية والرفاعية ونحوهما، واعتبرت هذه الأخيرة امتدادا لمنظور الغزالي الذي أسسه في القرن السابق، وتم الاعتراف بها وتقبلها بل ودعمها من طرف الحكام والفقهاء. لكن الجميع متفق على المبادئ العامة التي تنتظم التصوف؛ وبالأخص ما يتعلق بتزكية النفوس وتعميق النظر والتأمل في النصوص والممارسات. ومن الغريب أن نجد في تراث ابن النعمان احتراما لكل هذه المذاهب الصوفية، بحيث لم يمتنع من الاستفادة منها جميعا.

2.1 من المغرب إلى المشرق، رحلة الطلب والمثاقفة

من الصعب حقا إعادة تركيب حياة ابن النعمان ومساره، فقد ولد وعاش في هذه الأوضاع والظروف، وهو شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن موسى بن النعمان، بن أبي عمران بن أبي محمد، وهناك شبه اتفاق على نسبته، فهو مُزالي نسبة إلى القبيلة الأمازيغية مُزّالة وهي من فروع كُتّامة⁴، وهتّاني نسبة مرتبطة بمراكش؛ لأن هتّانة تقع في مقاطعة مراكش⁵ وهو ما قد يفسر نسبة البعض له إلى مراكش¹، بل إن

¹ ينظر: بروكلمان: *تاريخ الشعوب الإسلامية*، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط5/1968، بيروت، صص: 360-372، و329-332، ومحمود شاكر، *التاريخ الإسلامي*، المكتب الإسلامي، ط5/2000، بيروت، ج7.

² يمكن مراجعة عبد القادر النعيمي، *الدارس في تاريخ المدارس*، بعناية: عمار محمد النهار، وزارة الثقافة، 2014، دمشق، والملاحظ أن معظم المدارس والتكايا والزوايا أسست في القرن السابع الهجري.

³ أبو الوفاء التفتازاني، *مدخل إلى التصوف الإسلامي*، دار الثقافة، ط3/1979، مصر، ص: 187.

⁴ ينظر: موسى لقبال، *دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية*، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1/1979، الجزائر، ص: 113-114، والدراجي بوزياني، *القبائل الأمازيغية*، دار الكتاب العربي، ط1/2010، الجزائر، ص: 209.

⁵ وكتبت لدى البعض (الهتّاني)، ينظر: النقي الفاسي، *نبيل التقيد لمعرفة رواة السنن والمسائيد*، تحقيق: محمد صالح بن عبد العزيز المراد، جامعة أم القرى، ط1/1997، السعودية، 457/1، والمقريزي، *المفقى الكبير*، تحقيق: محمد البعلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/1991، ج3ق3 ص: 221، والزركلي، *الأعلام*، دار العلم للملايين،

البعض نسبته على فاس أيضاً²، وانفرد السيوطي بنسبته إلى مرسية³. والمؤكد أنه ولد بتلمسان سنة 606هـ⁴، وتنقل كغيره من الطلبة آنذاك بين حواضر المغرب العربي فدرس في فاس ومراكش وغيرهما، حتى عدّه البعض -كما سبق- فاسياً أو مراكشياً- قال الدميّاطي: "ولد بتلمسان سنة ست أو سبع وستمائة ونشأ بفاس"⁵، ووصفه التقي الفاسي بأنه "تلمساني المولد الفاسي الدار"⁶، وقد لاحظ بن تغري بردي كثرة تنقلاته، فقال إنه "سمع الكثير بعدّة بلادٍ وحَدَّث"⁷، فهو إذن "تلمساني مولداً ونشأةً لكنه تعلم أيضاً بفاس وربما في مراكش ومرسية أيضاً قبل ذهابه إلى مصر محل إقامته إلى وفاته؛ إذ لم يثبت أنه زار حواضر المغرب بعد انتقاله إلى المشرق"⁸.

فمن الواضح إذن أنه تلقى فيها تعليمه الأولي من علماء بلاده، فقد قال المقرئزي إنه "قرأ الفقه على مذهب الإمام مالك. واشتغل بالعربية حتى قيل إنه حفظ كتاب سيبويه، وقَدِمَ إلى مصر"⁹. وإفادة المقرئزي هذه هامة؛ كونها توضح المعالم الكبرى لشخصيته حين ذهب إلى المشرق؛ وهي تَمَدُّهُ بِمَذْهَبِ مالِك كسائر المغاربة، وتَمَكَّنَهُ من علوم العربية. ومن المؤسف أن صورة حياته في تلمسان ظلت غامضة لانعدام الوثائق التي تقدم معلومات عنها، وقد يكون ذلك طبيعياً؛ لأنه كان في مرحلة شبابه، طالب علم لا يميزه ولا عائلته ما يعرف عادة عن هؤلاء الأعلام.

كانت رحلته الأولى إذن إلى حواضر المغرب العربي، وعلى رأسها فاس التي كانت آنذاك قبلة الطلبة والعلماء، وفيها تعمق في العلوم الشرعية واللغوية، فدرس علوم القرآن الكريم على أبي العباس الضرير، وأبي القاسم الصَّغَّار، والحديث على أبي القاسم بن القطان (ت628هـ)، وأبي العباس بن أبي الربيع، والعربية وعلومها على أبي عبد الله بن يعيش وأبي محمد عبد العزيز بن زيدان الفاسي، وفي الأصول

ط15/2002، بيروت، 118/7، وعمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، مؤسسة الرسالة، 1993، بيروت، 744/3، وابن المعلم، **نجم المهتدي**، تحقيق: بلال محمد حاتم السقا، دار التقوى، دمشق، ط1/2019، 164/2، والحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2/1983، بيروت، 142/1.

¹ **معجم المؤلفين**، 744/3، وإسماعيل باشا البغدادي، **إيضاح المكنون في النيل على كشف الظنون**، دار إحياء التراث العربي، 1921، بيروت، 688/2، وحاجي خليفة، **كشف الظنون**، دار إحياء التراث العربي، 1941، بيروت، 1706/2، والأعلام، 118/7، قال: "مراكشي الأصل؟"

² الذهبي: **تاريخ الإسلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1/2000، 170/51، والصفدي: **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1/2000، بيروت، 60/5، والسخاوي، **تحفة الأحياء وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات**، بعناية: محمد ربيع وحسن قاسم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2004، مصر، ص: 176، وعادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2/1980، بيروت، ص: 293.

³ السيوطي، **حسن المحاضرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1/1967، مصر، 522/1.

⁴ ينظر: ابن شاکر الكتبي: **عيون التواريخ**، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داود وفيصل السامر، وزارة الثقافة والإعلام، 1984، العراق، 351/21، والذهبي: **سير أعلام النبلاء**، (الجزء المفقود 17)، تحقيق: سيد حسين عفاني وخيري سعيد، مؤسسة الرسالة، ط11/1996، القاهرة، 275/17، والسيوطي: **حسن المحاضرة**، 522/1، والتقي الفاسي: **نيل التقييد**، 458/1، واليونيني: **نيل مرآة الزمان**، تحقيق: عباس هاني الجرح وأحمد زكي الأنباري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/2013، 271/4، وابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، دار الكتب المصرية، 2004، القاهرة، 307/7، والذهبي: **تاريخ الإسلام**، بيروت، 170/51، والأدفي، **البدر السافر عن أنس المسافر**، تحقيق: قاسم السامرائي وطارق طاطمي، الرابطة المحمدية للعلماء، ط1/2015، الرباط، 966/2، والصفدي: **الوافي بالوفيات**، 60/5، والبرزالي: **المقتفي على كتاب الروضتين**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، ط1/2006، بيروت، 60/2.

⁵ الدميّاطي، **الكتاب الثامن من معجم شيوخ الدميّاطي**، نشر برنامج جوامع الكلم، 2004، الحديث رقم: 03.

⁶ التقي الفاسي، **نيل التقييد**، 457/1.

⁷ السيوطي، **النجوم الزاهرة**، 307/7.

⁸ ابن النعمان، **سير أهل السلوك إلى باب ملك الملوك**، دراسة وتحقيق: عباس بن يحيى، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مجلد: 20، عدد: 02، ص: 12. الرابط: 2026/01/07.

<https://asjp.cerist.dz/en/article/255328>

⁹ المقرئزي: **المقفي الكبير**، ج 1 ق3، ص: 221.

وعلم الكلام أخذ عن أبي العباس أحمد بن أحمد بن البقال، ومن أبي الحسن بن المصالي فأخذ عنه (العقيدة البرهانية) لأبي عمرو الفاسي¹. الفاسي¹. وحسب ابن المعلم فإنه انتقل إلى تونس، فأخذ عن بعض العلماء؛ مثل أبي موسى عيسى الحصري، وأبي عبد الله السوسي اللذين اللذين درس عندهما وسمع منهما².

ويبدو أن ابن النعمان لم يكن ينوي البقاء في تونس، فقد غادرها شاباً³، وانتقل إلى مصر، فكانت الإسكندرية وجهته الأولى، وفيها لقي عدداً من الأعلام، فأكمل تحصيله عليهم، وتمكن من الاستزادة خصوصاً في علم الحديث، ومنهم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد الصفراوي (544-636هـ)، ورشيد الدين عبد الوهاب بن رواج الإسكندراني المالكي (545-648هـ)، وأبو عبد الله محمد بن عماد الحرّاني (542-632هـ)، وأبو الفضل جعفر بن علي الهمداني (546-636هـ)، وأبو الفضل أحمد بن محمد بن الجبّاب (561-648هـ)⁴، وأبو التقى صالح بن شجاع أبي الحسن المُدليجي المصري المالكي (564-651هـ)⁵، وغيرهم.

ومن الإسكندرية انتقل إلى القاهرة، وقد يكون ذلك قبيل 630هـ؛ لأنه يذكر أنه غادر مدرسة الحديث الكاملية بعد هذا التاريخ. ومن الواضح أن شخصيته العلمية قد اكتملت في القاهرة؛ إذ لقي فيها نخبة من كبار علماء العالم الإسلامي، منهم عبد الرحيم ابن المَكْبَس الصوفي (555-637هـ)، وعلي بن محمود الصوفي ابن الصابوني (556-640هـ)، وأبو الحسن علي ابن المُقَيَّر النجار (545-643هـ)، والعلامة زكي الدين عبد العظيم المنذري (581-656هـ)، وأبو العباس ابن تَائِيَّت، أحمد بن محمد اللّوَاتِي، الفاسي (548-657هـ)، الذي ترك فيه تأثيراً كبيراً، فكثيراً ما نوه به ونقل عنه⁶، وكذلك سلطان العلماء، العز بن عبد السلام (577-660هـ)، ورشيد الدين يحيى بن علي العطار (584-662هـ). 662هـ). كما يذكر كذلك تأثره الكبير واقتدائه بشيخه ابن قفل (ت 647هـ) إذ ألبسه الحرّقة⁷، وقال عنه يصفه: "كان الشيخ أبو الحسن إذا تكلم أخذ بمجامع القلب، وكانت له فراسة صادقة ومكاشفات"⁸.

¹ ينظر: ابن المعلم: نجم المهدي، 164/2.

² ينظر: ابن المعلم: نجم المهدي، 165/2.

³ لقد درس ابن النعمان في مصر على عدة شيوخ من أقدمهم أبو عبد الله محمد بن عماد الحرّاني الذي توفي سنة 632 هـ أي أن عمر ابن النعمان آنذاك كان 26 سنة، فالراجح أنه لقيه لقيه قبل ذلك، كما صرح أنه غادر مدرسة الكاملة بعيد 630 هـ، أي أن عمره كان نحو 23 أو 24 سنة.

⁴ ابن المعلم: نجم المهدي، 165/2، والوافي بالوفيات، 60/5، والمقتفي، ج 1 ق 2 ص: 61، وسير أعلام النبلاء، 275/17، والمقفي الكبير، ج 1 ق 3 ص: 222، وتاريخ الإسلام، 170/51، وحسن المحاضرة، 522/1، ونيل مرآة الزمان، 271/4، والياقي، مرآة الجنان، بعناية: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط 1، 1997، بيروت، 151-150/4، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط 1، 1991، دمشق، 270/7.

⁵ ينظر: نجم المهدي، 165/2، والوافي بالوفيات، 60/5، والمقتفي على كتاب الروضتين، ج 1 ق 2 ص: 61، وسير أعلام النبلاء، 275/17، والمقفي الكبير، ج 1 ق 3 ص: 222، وتاريخ الإسلام، 170/51، والعبر، 346/5، وحسن المحاضرة، 522/1، ونيل مرآة الزمان، 271/4، ومرآة الجنان، 151-150/4، وشذرات الذهب، 670/7.

⁶ ابن النعمان، مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والنام، بعناية: حسين محمد علي شكري، دار الكتب العلمية، 2004، بيروت، ص: 115 و 209، وسير أهل السلوك، ورقة: 2، ومخطوط معرفة آفات الشيع، ورقة: 5. وترجمته في: تاريخ الإسلام، 858/14، والوافي بالوفيات، 384/7.

⁷ ابن النعمان، غنية الطالب، ورقة: 2. والمقفي الكبير، ج 1 ق 3 ص: 222، وابن الملقن، طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شريعة، مكتبة الخانجي، ط 3، 2006، القاهرة، ص: 501، ونجم المهدي، 166/2، ويذكر هذان الأخيران أنه لبسها أيضاً من أبي الحسن علي بن هبة الله المعروف بابن بنت الجُمَيْزِي (559-649هـ)، ومن أبي الحسن علي بن محمود بن الصابوني.

⁸ السخاوي، تحفة الأحياء، ص: 175.

ويبدو أنه عاش في فترة الطلب ظروفًا صعبة تميزت بالفاقة فعاش حياة تقشف وضيق حال، يقول واصفا تلك الظروف: "كُنْتُ بِالْقَرَاةِ الصُّغْرَى بِسَفْحِ جَبَلِ الْمُقَطَّمِ مُنْقَطِعًا بَعْدَ خُرُوجِي مِنْ دَارِ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةِ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَكُنْتُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَفْطِرُ عَنْ جَلْفٍ¹ الْخُبْزِ الْيَابِسِ وَالْدَّقَّةِ² إِنْ وَجَدْتُهَا"³.

ولا يظهر شيء كثير عن حياته الخاصة في تلك الفترة، ما عدا أنه حج سنة 639هـ وعمره 33 سنة، ويذكر كرامة حصلت له خلال تلك الرحلة⁴. ومن المرجح أنه زار البقاع المقدسة مرة أخرى في رحلة حج أيضا؛ إذ قدم عليه أبو القاسم محمد بن محمد بن رشيق مهنّا بأبيات شعرية وذلك سنة 662هـ⁵. ويبدو أنه بقي في هذه الحجة الثانية مدة في البقاع المقدسة، لأنه حدث إمام الحرم رضي الدين إبراهيم بن محمد الطبري (636-722هـ) في مكة بصحيح مسلم⁶. أما ابنه فهو راوية علمه وكتبه، كما أن ابنته سِتَّ الْعَرَبِ فَاطِمَةَ سَمِعَتْ عَلَى ابْنِ عَلَاقٍ، عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ جُزْءَ الْبَطَاقَةِ⁷ من الحديث الشريف.

3.1 تربية الرجال وتأليف الكتب

تظهر شخصية ابن النعمان بوضوح من خلال مؤلفاته ومن خلال أعماله وجهوده، ويمكن القول إنه نال تقديرا كبيرا من معاصريه ومن بعدهم؛ فقد اشتهر ببناء المساجد والزوايا وتجديدها وترميمها، إذ أحصوا بناءه وترميمه لنحو 30 موضعا أو أكثر⁸، وذكر ابن المعلم أن كتاب (المواهب الرحمانية في المناقب النعمانية) الذي ألف حول ترجمة ابن النعمان "عَدَّ الْمَسَاجِدَ وَذَكَرَهَا بِأَسْمَائِهَا وَأَصْقَاعِهَا"⁹، مثل مسجد (الفتح) الذي استولى النصارى في مكانه على مساجده الثلاثة، فأعادها ابن النعمان، وقد نوه بذلك المخلص الكنايني في أبيات منها¹⁰:

يَا مَسْجِدَ الْفَتْحِ قَدْ شَابِهَتْ كَعْبَتَنَا فَحُظُّكَ الْآنَ تَهْلِيلٌ وَتَقْدِيسٌ
وَكُنْتُ فِيمَا مَضَى يَحْوِيكَ كُلُّ أَدَى مِنَ النَّصَارَى وَتَلْوِيثٌ وَتَجْنِيسٌ

¹ الجلف: "الخبز اليابس الغليظ بلا آدم ولا لبن كالخشب ونحوه" ابن منظور، لسان العرب، (جلف).

² الدقة: "الملح المدقوق.. ومصدر الدقيق.. والطحين.. والتوابل" لسان العرب، (دقق).

³ ابن النعمان: مخطوط كتاب معرفة آفات الشيع والقانون في طيه المتبع، ورقة 5. والقراءة مقبرة في القاهرة لكنها أشبه بمدينة أو حي كبير، بنظر المقرئ، المواظ والاعتبار في الخط والأثر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2003، لندن، 489/4، ونقل عن ابن سعيد صاحب المغرب يصف دورها ومسجدها وتجمعاتها وأنه كان يبيت فيها ليالي.

⁴ ابن النعمان: مصباح الظلام، ص: 16.

⁵ نجم المهدي، 171/2.

⁶ نيل التقييد، 457/1، وقال: "سمعه عليه بمكة مُسْنِدُهَا الرُّضِي، إبراهيم بن محمد الطبري، إمام المقام الشريف".

⁷ ابن حجر، الدرر الكامنة، دار الجيل، 1993، بيروت، 468/2 و 228/3. وعبد الله بن عبد الواحد بن علاق (ت 672هـ) الأنصاري الرزاز المصري الحنبلي، محدث روى (جزء البطاقة) لأبي القاسم حمزة بن محمد الكنايني (275-357هـ) عن هبة الله البوصيري وكذلك الحديث المسلسل. من تلاميذه ابن منده والدارقطني، ووصف بالحافظ والثبت والثقة وبالصلاح. وقد نشر كتاب جزء البطاقة بتحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، دار السلام، السعودية، ط 1412/1هـ.

⁸ المقرئ، المقفى الكبير، ج 1 ق 3 ص: 222. وذكر بعضهم أنه بنى ووجد 120 مسجدا وزاوية، السخاوي، تحفة الأحياء، ص: 176، والأقرب إلى الدقة ما قاله ابن المعلم بأنها 70 موضعا، نجم المهدي، 164/2.

⁹ نجم المهدي، 164/2.

¹⁰ نجم المهدي، 163/2.

كما عرف بتصفوه واشتغاله بتكوين وتربية المريدين فوصف بأنه "المربي المعلم"¹، وهذا المسلك في التكوين والتعليم بارز في أعماله فقد كان "مربيا للمريدين، حسن التربية لهم. انتفع به خلق كثير، إذ تمت عليهم بركته"²، ويبدو أنه نجح في تلك المهام، إذ "انتفع به جماعة من المريدين والصوفية، ومن سلك طريقه في الإرادة ولبس منه الخرقة"³؛ وهو أمر متوقع لأنه "كان له معرفة تامة بأوصاف الرياضة وأحوال الطريق"⁴، وأنه لقي كثيرا "من الأولياء والصلحاء، وظهر على يديه كرامات كثيرة لا يحصيها العد"⁵، فكان العارف⁶ والقدوة⁷. وقد كرّست كتاباته بالفعل توجهه الصوفي الصوفي حتى أن البعض نسب له طريقة صوفية باسمه (النعمانية)⁸، وقد يكون المقصود هنا هو تأسيس زاوية أو منهج؛ إذ لم نعر على ما يشير إلى تأسيسه طريقة خاصة به على النحو الذي يدل عليه مصطلح الطريقة.

غير أن ابن النعمان اشتهر بمواقفه وحزمه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁹، وفي مناظرة ومجادلة الخصوم، ومكافحة المبتدعة¹⁰، ويعكس ذلك مشاركته كأشعري قوي¹¹، في النقاش والجدل الفكري والديني آنذاك، حتى أن ابن المعلم يذكر أن أبا العباس أحمد القراني (ت684هـ) قد أخذ عنه "وكان [وهو لسان المتكلمين وسيف المناظرين] يستنصر به، وشاهدت ذلك غير مرة"¹²، كما يذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار القيرواني أنه حضر مع جماعة من طلبة العلم إلى ابن النعمان يهنتونه "بما يسر الله على يديه من الفتح في كسر شوكة ابن تيمية وأصحابه، وكان أمرا عظيما أنهضه الله فيه وأعانه عليه، فدعونا له"¹³. ولكل هذا، ولمواقفه القوية في مواجهة (الحنابلة) تبوأ مكانة هامة لدى معاصريه، فوصف بأنه الشيخ الإمام الصالح القدوة، والعلامة وشيخ الإسلام والمسلمين والسيد الإمام الكبير الشأن وغيرها من النعوت والألقاب¹⁴، ومدحه الشعراء أيضا، كقول شمس الدين بن دانيال الجزري (647-710هـ)¹⁵:

¹ نجم المهتدي، 2/ 163.

² المقفى الكبير، ج 3 ص: 222.

³ نجم المهتدي، 2/ 166.

⁴ تحفة الأحباب، ص: 176.

⁵ نجم المهتدي، 2/ 166.

⁶ تحفة الأحباب، ص: 176، والوافي بالوفيات، 60/5، ونجم المهتدي، 2/ 163، ودرء الأسلاك في دولة الأتراك. مكتبة شستر بيتي، رقم: 5146، ورقة 133، وتحفة الأحباب، ص: 176، وابن حبيب، (1976)، تنكرة النبوة في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب، 1976، مصر، 91/1، وابن شاذان، عيون التواريخ، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داود وفيصل السامر، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 351/21.

⁷ المقفى، ص: 60، وتحفة الأحباب، ص: 176، وسير أعلام النبلاء، 275/17، وعمر بن طغرل السيف، منية الأنيس، مجلة: آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، دبي، العدد: 100، ديسمبر 2017، ص: 184، وتاريخ الإسلام، 170/51، والعبر، 346/5، وحسن المحاضرة، 522/1، ومرآة الجنان، ص: 150، وشذرات الذهب، 670/7.

⁸ ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص: 489.

⁹ المقفى الكبير، ج 3 ص: 222.

¹⁰ نجم المهتدي، 2/ 163 و167، والمقفى الكبير، ج 3 ص: 222.

¹¹ سير أعلام النبلاء، 275/17، وتاريخ الإسلام، 170/51، ونقلها الصفي، الوافي، 60/5، قال الذهبي "إنه كان "أشعريا مُتَحَرِّفاً على الحنابلة"، العبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دائرة المطبوعات والنشر، 1960، الكويت، 346/5 ونقلت خطأ بعبارة مُتَحَرِّفاً، ونقلها ابن العماد في شذرات الذهب، 671/7 بلفظ: منحرفا. لكن البيهقي تعقب الذهبي، وكتب معلقا على تصريحه السابق: "هذه عبارة فيها كثير من الغرض له ما فيها، كما عُرف من عادته من التنقيص من أئمة منهج الحق وسادته"، مرآة الجنان، ص: 151.

¹² نجم المهتدي، 2/ 163.

¹³ نجم المهتدي، 2/ 167.

¹⁴ تحفة الأحباب، ص: 176، وطبقات ابن الملقن، ص: 488، والمقفى للبرزالي، ص: 60، وتاريخ الإسلام، 170/51، والعبر، 346/5، والفاكهاني، الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير، مركز اهلسنة، ط1/2001، الهند، ص: 263-298-299، وحسن المحاضرة، 522/1، ومرآة الجنان، 4/ 150، وشذرات الذهب، 670/7، وعيون التواريخ، 351/21.

¹⁵ نجم المهتدي، 2/ 168.

لِشَّمْسِ الدِّينِ صَدْرُ أَيُّ صَدْرٍ يُرِينَا نَحْرَهُ دُرُّ الْكَلَامِ
بِهِ ظُلُمُ الشُّكُوكِ لَنَا أَضَاءَتْ لِأَنَّ الشَّمْسَ (مِصْبَاحُ الظَّلَامِ)

والشاعر يسجل هنا أهمية كتابه الشهير (مصباح الظلام)، لأنه -في الأصل- دفاع عن قضية الاستغاثة بالرسول ﷺ.

وهذا مثال بسيط مما قيل فيه من الشعر، إذ يقول ابن المعلم "ولقد وَفَّقْتُ على مَدَائِحِ الناسِ فيه ما بَيْنَ قِصَائِدَ وَمَقَاطِيعَ تُزِي على مُجَلِّدٍ كبير"¹. وساق خمس قصائد مطولة؛ منها قصيدة للبوصيري (45 بيتاً)، يذكر فيها فضائله ومواقفه وعلمه، ومنها قوله²:

.. وَأَرْهَدُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَمْرٌ عَرَفْتُ عَنْ لَيْلٍ نَفْسُهُ فِيهَا وَعَنْ خَشَنِ
مُحَمَّدٍ وَإِلَى النُّعْمَانِ نَسَبْتُه نِعَمَ الْإِمَامَانِ مِنْ أَصْلٍ وَمِنْ فَنَنِ
.. وَذِكْرُهُ عَطِرٌ فِي الْأَرْضِ مُنْتَشِرٌ وَفِي السَّمَاءِ انْتِشَارَ الرُّوحِ فِي الْبَدَنِ
يَجْنِي الرُّوَاهُ ثِمَارَ الْعِلْمِ يَانِعَةً مِنْهُ، كَمَا تُجْتَنَى الْأَزْهَارُ مِنْ غُصْنِ
كَأَنَّهُ كَعْبَةٌ تَأْتِي الْوُفُودُ لَهُ سَعْيًا، وَفَوْقَ عِتَاقِ الْخَيْلِ وَالْبُدَنِ
.. فَالنَّاسُ قَدْ أَخَذُوا عَنْهُ مَنَاسِكُهُمْ وَحَظُّهُمْ مِنْ فُرُوضِ الدِّينِ وَالسُّنَنِ
يَدْعُو الْأَنَامَ عَلَى عِلْمٍ وَبَيِّنَةٍ إِلَى الْهُدَى، إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى الْفِتَنِ

ومن الهام أن نشير إلى أنه كان يتعاطى الشعر هو أيضاً، فلا يكاد يخلو عمل من أعماله من أبيات ينظمها، لكنه شعر بعيد عن مسلك الشعراء بل هو في الغالب من النظم³؛ لكنه يرتقي أحياناً إلى بعض شفافية الشعر الصوفي العرفاني، كـمقطوعته الشهيرة التي يقول فيها⁴:

أَتَطْمَعُ أَنْ تَرَى لَيْلَى بَعِينٍ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى حُسْنٍ سِوَاهَا
سِوَاهَا لَا يَرُوقُ الطَّرْفَ حُسْنًا وَأَوْصَافُ لَهَا زَانَتْ حِمَاهَا
حِمَاهَا مَنْزِلُ الْأَحْبَابِ قِدَمًا وَإِنْ كَانَ الْجَلَالُ لَهَا حِمَاهَا
أَتَنْظُرُهَا بَعِينٍ بَعْدَ عَيْنٍ فَيَلْكَ الْعَيْنُ تَمْنَعُهَا قَدَاهَا
قَدَاهَا إِنْ أَرَدَتْ يَزُولَ عَنْهَا فَغَيْرُ الْعَيْنِ دَهْرَكَ لَا تَرَاهَا
تَرَى الْحَسَنَاءَ تُسْفِرُ عَنْ لَثَامٍ سَحِيقُ الْمِسْكِ يَعْْبِقُ مِنْ شَذَاهَا

¹ نجم المهدي، 2/ 176.

² نجم المهدي، 2/ صص: 173-172.

³ عيون التواريخ، 351/21، ودرء الأسلاك، ورقة: 133.

⁴ وردت كاملة (12 بيتاً) في نيل مرآة الزمان، 271/4-272. وفي تاريخ الإسلام، 170/51، والوافي بالوفيات، 60/5 كلاهما 4 أبيات، وورد بعضها أيضاً في عيون التواريخ، 351/21، وتذكرة النبيه، 92/1، ودرء الأسلاك، ورقة: 133.

شَذاها أَعْبَقَ الْأَكْوَانَ طِيبًا وَنَشَرَ الطِّيبَ يَنْفُخُ مِنْ ثَرَاهَا
سَنَاهَا تَعَجُّزُ الْوُصَافِ عَنْهُ وَحَسَبُ الْفِكْرِ يَقْصِرُ لَوْ تَنَاهَى
فَقَفَرُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ حَقًّا بِرُؤْيَا مَنْ رَأَى مَنْ قَدْ رَأَاهَا
فَأَقْسِمُ لَا يَرَى الْحَسَنَاءَ إِلَّا مُحِبًّا لَا يَرَى إِلَّا هَوَاهَا
هَوَاهَا يَحْجُبُ الْأَبْصَارَ طُرًّا عَنِ الْكَوْنَيْنِ لَا تُبْصِرُ سِوَاهَا

4.1 وفاته وآثاره

استمر ابن النعمان على سيرته حتى وفاته بالقاهرة¹ في شهر رمضان من سنة 683هـ. فكانت جنازته مشهودة²، وأنشدت في رثائه قصائد³، قال ابن المعلم: " ولقد رثي الشيخ أبو عبد الله بأكثر من ثلاثين قصيدة أصغرها عشرة أبيات، وأنشدت فيه مرات قبل دفنه وبعد دفنه، ولو لم تكن مسطورة، لأوردتها في هذا الموضع، لكنها مدونة في الكتب"⁴.

وقد ترك الإمام محمد بن النعمان عددا من الأعمال، ظلت مغمورة إلى صدور كتابه مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام، ونشر بعناية حسين محمد علي شكري سنة: 2004، وهو عمل شهير أثنى عليه عدة علماء واستفادوا منه من أمثال: السخاوي وابن حجر والقسطلاني والسيوطي والسمهودي والبهاوي وغيرهم⁵. لكن بقية أعماله بقيت مجهولة ولم يذكر منها في كتب التراجم إلا القليل، لم ترد على العشرة عناوين⁶. بينما سرد له ابن المعلم ثمانية وثلاثين عنوانا، ثم قال: " وغير ذلك من المصنفات والتعليق والإملاءات، لا يسع الحال إحصاءها، ولا يتمكّن من يروم استقصاءها، ولقد عدّ له نجم الدين بن عبد الحميد قريبا من مائتي مُصنّف بأسمائها، وذكر أنها فوق المائتين والستين تصنيفا"⁷، وكل ذلك يدل بوضوح على أنه ترك تراثا ضخما، ولندكر بعض ما هو مطبوع أو مخطوط منه:

-وظائف في علم المنطق (أو الوظائف). ونشر بتحقيق ودراسة رائد أمير عبد الله الراشد، سنة: 2016، ضمن كتابه: التراث المنطقي في المغرب والأندلس. ويبدو أنه لقي عناية فشرحه بعض العلماء⁸.

-الإعلام بالأعلام بين الحكام. ونشر بتحقيق: إبراهيم بن عبد العزيز اليحيى، سنة: 2012.

¹ ويبدو أن رفيقه الحافظ عبد المنعم الدمياطي (ت705هـ) قد أخطأ حين جعله فاسي الممات [الكتاب الثامن من معجم شيوخ الدمياطي، الحديث رقم: 03] إذ يذكر بعدها بقليل أن وفاته كانت بمصر. وبالفعل مات بالقاهرة سنة 683هـ.

² الوافي للصفدي، 60/5، ونيل مرآة الزمان، 271/4، وسير أعلام النبلاء، 175/17، وعيون التواريخ، 351/21، والعبر، 346/5.

³ نجم المهدي، ج2 صص: 176-179، وابن رشيد الفهري، ملء العيبة، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، ط1/1982، تونس، 350/5.

⁴ نجم المهدي، 179/2.

⁵ ينظر: مقدمة محقق مصباح الظلام، ص: 7-8.

⁶ ينظر: معجم المؤلفين، 745/3، والأعلام، 118/7، ومحقق مصباح الظلام، ص: 14، ومحقق كتاب الوظائف، لابن النعمان، تحقيق رائد أمير عبد الله الراشد، 2016، ضمن كتابه: التراث المنطقي في المغرب والأندلس، صص: 67-69.

⁷ نجم المهدي، 169/2.

⁸ ينظر: كشف الظنون، 2015/2.

-سير أهل السلوك إلى باب ملك الملوك. ونشر بتحقيق: عباس بن يحيى في المجلة الجزائرية للمخطوطات، سنة: 2024.

أما بقية أعماله؛ فمخطوطة أو مجهولة. ويمكن تقديم بعضها فيما يلي:

-إعلام الأجناد والعباد أهل الاجتهاد بفضل الربط والجهاد: (هدية العارفين-الأعلام-كشف الطنون) وتوجد منه نسخة في مكتبة برلين بألمانيا رقم الحفظ: 4089. ويبدو أنه رسالة صغيرة الحجم لكنها مهمة في بابها لارتباطها بأحداث الصراع مع الصليبيين.

-عُدَّة الْمُجَاهِدِينَ عِنْدَ قِتَالِ الْكُفَرَةِ الْجَاهِدِينَ. وقد ذكره هو¹ نفسه.

-النُّورُ الْوَاضِحُ إِلَى مُحَجَّةِ الْمُنْكَرِ الصَّارِخِ فِي وُجُوهِ الصَّائِحِ². وذكره مترجموه، وتوجد نسخة خطية منه في مكتبة برلين رقم 5410، ويبدأ بقوله: " الحمد لله عالم السر والإعلان، المنزه في ذاته...".

-غنية الطالب. وهو رسالة صغيرة أيضا تتعلق بالخرقة الصوفية. مخطوط في مكتبة السليمانية بإسطنبول.

-معرفة آفات الشعب والقانون في طبه المتبع. مخطوط في مكتبة السليمانية بإسطنبول.

الفَوَائِدُ الْمَدَنِيَّةُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ. ذكره السخاوي، فقال: " ورأيت كراسة للشيخ أبي عبد الله محمد بن موسى بن النعمان سماها (الفوائد المدنيّة في الصلاة على خير البرية) فاستفدت منها"³.

-ذخيرة أهل الإيمان في حفظ جوارح الإنسان⁴. وسماه ابن حجر⁵: ذخيرة أهل الإيمان وخريدة الإحسان في حفظ جوارح الإنسان. وتوجد وتوجد نسخة منه⁶ تضمنت 61 ورقة، كتبت سنة 726هـ عن نسخة قرئت على المؤلف سنة 677هـ، في السليمية رقم: 34.

-المشيخة، في الحديث، منه نسخة مصورة بجامعة الكويت ب/113/3 م. ك.

-دُرَّةُ الْكَبِيرِ والإعجاب للناظر برؤية أحجار الزيت والمعاصر، وهو هذه الرسالة.

-تخميس البردة: ويبدو أن هذه مخطوطة في دار الكتب المصرية⁷. ومطلعها:

مَا بَالُ عَيْنِكَ تَشْكُو شِدَّةَ الْأَلَمِ رَمْدَاءَ نَامَتْ عُيُونٌ، وَهِيَ لَمْ تَنَمِ

تَذَرِي دَمًا وَدُمُوعًا فِي دُجَى الظُّلَمِ

¹ مصباح الظلام، ص: 114، وكذلك في نجم المهدي لكنه سماه: عمدة، 169/2.

² وذكر في إيضاح المكنون، 688/2، ومعجم المؤلفين، 745/3، ومعجم أعلام الجزائر، ص: 293.

³ السخاوي: القول البديع في الصلاة على النبي الشفييع، بعناية: محمد عوامة، مؤسسة الريان، ط1/2002، السعودية، ط1، ص: 481.

⁴ نجم المهدي، 168/2.

⁵ المنتخب من أمالي ابن حجر من تخريج مختصر ابن الحاجب، (مخطوط)، نشر المكتبة الشاملة، ورقة: 1. <https://shamela.ws/book/11118/2>

⁶ علي الرضا قرّة بلوط وأحمد طوران قرّة بلوط، معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم، دار العقبة، ط1/2001، قيصري، تركيا، ج1، رقم: 8537.

⁷ البردة والأعمال التي دارت حولها، (دون ذكر المؤلف)، ص: 273. وذكر مؤلفها ابن النعمان في: ديوان التخميس، لمحمد صادق محمد، ديوان التخميس، دائرة المعارف الحسينية، المركز الحسيني للدراسات، ط1/2013، لندن، 2013، 47/1.

أما باقي أعماله، فما زالت في مفقودة، رغم توفر عناوين كثير منها. وقد يقدم باحثون آخرون أعمالا أخرى نجهلها.

2. نص (الدَّرء)

1.2 مضمرة ابن النعمان:

مقاومة الكبير والإعجاب بالنفس والغرور هو بؤرة هذا النص، وقد شكّلت مدونة النصوص القرآنية والنبوية تراثا أساسيا في ذمهما، فكانت المنطلق في كثير من الأبحاث حول الظاهرة بوصفها خطيئة في حق العباد بل ومناجزة لله، واعتبرت لدى العلماء أيضا مرضا، اهتموا بعلاجه كما نجده عند الغزالي وابن القيم مثلا¹. وهي مسألة عميقة جدا، لأنها تتصل بتفسير معنى الكبير نفسه؛ أي أنه في عمقه -في نظرهم- انعكاس لمفهوم التوحيد نفسه، بحيث يكون المرء المتكبر جاهلا بربه، وبذلك فإن العلاج يبدأ من المعرفة؛ أي معرفة الإنسان نفسه ومعرفة ربه²، ويتضمن ذلك بالخصوص إدراك ضالة الإنسان لضالته وحقيقته، والإقرار بكونه من عبيد الله، وأن العظمة لله وحده. فكل شعور بالعظمة هو أشبه بمنازعة الله صفته ومكانته وسلطانه، وذلك هو الشرك بعينه كما سنرى لاحقا، وهذا هو جوهر نص ابن النعمان.

فالكبر انتفاء للمعرفة بأن ما لدى الإنسان من حياة ونعم ومواهب -في نظر المؤلف- إنما هي كلها من الله، والاعتراف له بذلك يضع الإنسان في موقع العبودية، ويخرجه من دائرة الكبير والإعجاب، ولهذا يتحدث المصنف في النص بلسان الموعظة إلى قصب السكر، ويقول له: "لا تَعْفَلْ عن ذكر مولاك، وَلِنَعْمِهِ لا تكفر، ولا تُعجب بعملك، وبفضله فَأَفْرَحْ واشكُر"، فما لدى الإنسان هو تفضل من المولى على العبد، وهو ما يجعل الإعجاب لا محل له، إذ لا يد للإنسان فيه. ولأن "العجب هو حمد النفس على ما عملت أو علمت، ونسيان النعم من الله عز وجل"³ فإن الإنسان في تلقي النعم كقصب السكر؛ "اخترنا لك الأرض الطيبة"، "أجرينا لك عيون الماء"، "سخرنا لخدمتك من من يَعْقِلُ ومن لا يَعْقِلُ"، وهذا هو منطوق قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجم، 13] وفيه ارتباط تسخير النعم بالتفكير والتأمل والاعتبار. فالنعم والمواهب الإلهية هي التي أعطت الإنسان المكانة، وهي مكانة لا وجود لها إلا بمعرفة مصدرها والاعتراف بمانحها وبفضله؛ أي الاعتراف بربوبيته وألوهيته؛ وبذلك يكون الإنسان قد وضع نفسه في مكانه الحقيقي فيتواضع أمام عظمة وفضل المانع. وهذه المعرفة يكرّسها النص القرآني نفسه حين يدعو الإنسان إلى تأمل

¹ الغزالي: *إحياء علوم الدين*، دار ابن حزم، 2005/1، بيروت، ص: 1249 و1273، وابن قيم الجوزية، *مدارج السالكين*، تحقيق: محمد المعتمد بالله، دار الكتاب العربي، 2003/7، بيروت، 78/1.

² قال الغزالي: "الطريق في معالجة الكبير، واكتساب التواضع.. أن يعرف نفسه، ويعرف ربه تعالى.. وإذا عرف ربه، علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا لله"، *إحياء علوم الدين*، ص: 1274.

³ المحاسب، *الرعاية لحقوق الله*، بعناية: عبد الحليم محمود، دار المعارف، 2 (دب)، مصر، ص: 269.

ذاته وأصله¹، وأفضال الله عليه ونعمه منذ خلقه من طين ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق، 5]، ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [يس، 77]، وكل شيء خلقه وسخره له هو محل للاعتبار والتفكير، والعلاقة بين هذه المسخرات وحركة العقل في تأمله تمتع الإنسان معرفة عميقة تتجاوز الظواهر إلى ما وراءها، قال تعالى: ﴿يُنَبِّتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل، 11]، وارتباط الخلق والإنعام بالتأمل والتفكير واضح في الآيات، لأنه يكبح جماح الإنسان في إعجابه بنفسه وشعوره بتعاضده على غيره، وتوقظ عقله على الحقائق التي أغفلها أو نسيها.

لكن ابن النعمان يسلك في معالجة الموضوع طريقاً مختلفاً عن الغزالي وابن القيم وغيرهما؛ فقد انزاح عن أسلوب الوعظ الخطابي التعليمي المباشر، وبدا وكأن الفكرة قد أشرقت في ذهنه فجأة وهو يتأمل معاصر قصب السكر وأحجار عصر الزيتون، فأعلن منذ البداية أن فيها (آيات) ظاهرة وباطنة، يمكن للمتأمل لها أن تحصل له تذكرة عظيمة تنبه السالكين. ومن الواضح أن فكرة التأمل متأصلة في ذهن الصوفي وروحه، لأنها أساس المعرفة، إذ بها، وعبرها، يمكن الحصول على إدراك مزدوج؛ إدراك عظمة الخالق اللامتناهي، وإدراك ضالة وافتقار الإنسان. فالتأمل والاعتبار هو مصدر المعرفة، وهو مطلب يتردد كثيراً في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس 101]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران، 190-191]. ومنه فإن التأمل والتدبر هو نفسه عبادة، بل من أعظم العبادات، وذلك مأثور عن السلف، فقد روى ابن القاسم عن مالك، قال: قيل لأُم الدرداء: "ما كان أكثر شأن أبي الدرداء؟ قالت: كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر"²، وهي بالفعل خلوة وانسحاب عن عالم الناس لتركيز الذهن على التدبر، وهي بالفعل عبادة كما سبق في الآية الكريمة من اقتران ذكر الله والتفكير، بل لخص سعيد بن المسيب العبادة في قوله: "إنما العبادة، الورع عما حرم الله، والتفكير في أمر الله"³. وعلى هذا الطرح سار معظم العلماء، بل إن ابن القيم أدرك الفرق بينهما فأوضحه في التأثير بين التفكير والعمل بقوله: "فالتفكير يُوقِعُ صاحبه من الإيمان على ما لا يُوقِعُهُ عليه العمل المجرد، فإن التفكير يوجب له من انكشاف حقائق الأمور وظهورها له"⁴، فليست الظواهر المادية هي المقصودة إنما ما يحتجب خلفها، وبهذا التدبر والتفكير تحصل معرفة لا تيسر في العمل أو الظاهر، ولذلك يجعله الغزالي سبباً لرسوخ اليقين⁵، قال الغزالي: "الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم"⁶، وكأن هذه المخلوقات كتاب كبير نقرأ فيه عظمة الله من حيث لا نراه، قال

¹ يقول دابستو سوزوكي وما "التأمل الديني في أساسه إلا فن نظر الإنسان في طبيعة تكوّن نفسه"، ينظر: كولن ولسون، *الشعر والصوفية*، ترجمة عمر الديراوي، دار الآداب، بيروت، 1979/2، ص: 34.

² ابن قيم الجوزية، *مفتاح دار السعادة*، تحقيق: عبد الرحمن بن قائد، دار عالم الفوائد، ط1/1432هـ، السعودية، 515/1، وفيه أن الحسن قال: "تفكر ساعة خير من قيام ليلة".

³ القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1/2006، بيروت، 472/5، وبيعض الاختلاف في *حلية الأولياء*، لأبي نعيم، تحقيق: سامي أنور جاهين، دار الحديث، 2009، القاهرة، 56/2. ونقل القرطبي هنا النقاش حول أيهما أفضل؟ الصلاة أو التفكير.

⁴ ابن قيم الجوزية، *مفتاح دار السعادة*، 519/1.

⁵ الغزالي، *الحكمة في مخلوقات الله*، تحقيق: محمد رشيد قباني، دار إحياء العلوم، ط1/1978، بيروت، ص: 14.

⁶ الغزالي، *إحياء علوم الدين*، ص: 1798.

جلال الدين الرومي: "الحق سبحانه بسبب لطفه لا يُرى. وقد خلق السماء والأرض لكي ترى قدرته وصنعه"¹؛ أي أن عجزنا عن رؤيته لا يمنعنا من رؤية مخلوقاته، التي من طريقها نرى عظمته وقدرته، فهو أمام أعيننا من خلالها.

فالتأمل والتفكير والاعتبار هو مصدر المعرفة العميقة واليقينية، ولقد حث عليه القرآن الكريم - كما سبق - ولم يُقَصِّرْهُ على تأمل نص القرآن فقط، بل استهدف في معظم الآيات التأمل في الإنسان نفسه، وفي الطبيعة والكون، حتى في أضعف الكائنات وأدناها²، وبعبارة أخرى، فإن كل شيء صالح للتأمل والتفكير، "وكان سُفَيَانُ بن عُيَيْنَةَ كثيرًا ما يتمثل³:"

إِذَا الْمَرْءُ كَانَتْ لَهُ فِكْرَةٌ فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ عِبْرَةٌ

فالتأمل يسير في الاتجاهين؛ داخل الإنسان وخارجه، فيكون آلية ناجحة للوصول إلى المعرفة وإلى الله⁴؛ لأن ذهن الإنسان يتحرك ليستنتج علاقة الأشياء (في الداخل أو الخارج) بالمعنى الذي أشرق في ذهنه، فلنكني "نفهم شيئًا يكون علينا أن نقوم بالعمل الذهني الذي هو ربطه مع غيره من الأشياء، وكلما زادت تلك الأشياء التي أربطه بها، زاد معناه لدي"⁵. وبهذه الطريقة أفلت ابن النعمان من أسلوب الوعظ المباشر، وسلك مسلك العرفانيين في المعاناة والشفافية الصوفية. فحين ركز تأمله وغاب وعيه أمام منظر قطع قصب السكر ثم عصره، ومنظر إنزال الزيتون من علاه ثم عصره تحت الأحجار، غابت عن ذهنه تلك الصور الخارجية ومدلولاتها السطحية، ونقلته إلى عمق رمزيته ودلالاتها على ضعف الإنسان نفسه، وتكشفت كعادة الصوفية على صورته هو نفسه حين رأى عنكبوتا على طوفه، فتذكر نعم الله عليه، وضعف نفسه ونسيان شكرها للمنع، وقد تكون تلك هي الدلالة العميقة لجزء المتكبرين، بحيث يكونون تحت أقدام الخلق، ففي أحد الأحاديث يقول النبي ﷺ: "يُحْشَرُ الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الدَّرِّ تَطَوُّهُمْ النَّاسُ لِهَوَانِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى"⁶، وبذلك يتم قلب الوضع، ويكون الجزء بالصورة الحقيقية لمن تعالى على غيره، منتهيا تحت أقدامهم.

2.2 استراتيجية ابن النعمان:

يمكن القول إن هذا النص مختلف عن كثير مما كتبه ابن النعمان، إذ غابت فيه شخصية الفقيه والواعظ تماما، واستمد أهميته من مسلكه العرفاني العميق، لأنه يمارس فيه التَّفَكُّرَ والاعتبار، وهو ما يريد تأكيد وتكريسه من خلاله، إذ اختار له عنوانا طويلا (درء الكبير والإعجاب للناظر برؤية أحجار الزيت والمعاصر)، وقد لا يظفر القارئ لأول وهلة من هذه العتبة إلا على مدلولين بعيدين (درء الكبير والإعجاب) و(رؤية المعاصر)، ومن الصعب اكتناه العلاقة بينهما، فطول نص العنوان يدل على رغبة المصنف في التوضيح، لكن مع الإبقاء على شيء من الغموض، إذ ما علاقة الكبير والعجب برؤية الأحجار والمعاصر؟ وهي لا تتضح إلا بعد السفر في مقاطع النص وفهم أبعاده.

¹ جلال الدين الرومي، كتاب فيه ما فيه، ترجمة عيسى علي الكاعوب، دار الفكر، ط1/2002، دمشق، ص: 303.

² ولنلاحظ أن الغزالي قسم أبواب كتابه الحكمة في مخلوقات الله، على عناصر الطبيعة والكون والإنسان، ص: 113، وكذلك فعل ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ج2.

³ ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 516/1.

⁴ كولن ولسون، الشعر والصوفية، ص: 34. وكذلك الغزالي: الحكمة في مخلوقات الله، ص: 13.

⁵ كولن ولسون، الشعر والصوفية، ص: 73، ويقول جلال الدين الرومي: "لك معنى في داخلك"، كتاب فيه ما فيه، ص: 90.

⁶ الغزالي: إحياء علوم الدين، ص: 1251.

غير أن تحليل نص العنوان يدلنا على أن محتوى فكرة (درء الكبر والإعجاب) هو مضمون أخلاقي ووعظي أيضاً، وهو بذلك يحدد موضوع النص، لكنه لا يكشف عن استراتيجيته أو منهجه، أما (الأحجار والمعاصر) فهي عناصر خارجية قد توجد في نصوص كثيرة، وتبدو علاقتها بالكبر والإعجاب بعيدة، وبذلك فإن كلمة (الناظر) هي الكلمة المركزية، فهي -من جهة- تنطبق على رؤية الأشياء المادية وغيرها، كما أنها تنتمي إلى اهتمام المصنف في المنزع الصوفي والديني بشكل عام، وهي بذلك تنتقل من مجال الرؤية البصرية إلى التأمل والتفكير والتدبر، كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس 101]، ومن الواضح أن النظر هنا لا يستهدف الرؤية المادية وإنما قراءة الكون وكله واكتشاف ما فيه من (آيات ونذر).

قد يكون ابن النعمان قد استلهم هذه الآية السابقة، والأقرب أن يكون قد تدبر قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا﴾ [الأعراف، 146]، إذ ربطت بين الكبر وعدم إدراك آيات الله في الأرض¹، فإن من شأن الكبر أن يصرف أهله عن النظر والاستدلال على الحق والهدى لأجل اتباعه، فهم يكونون دائماً من المكذبين بالآيات الدالة عليه الغافلين عنها، وتلك حال الملوك والرؤساء والزعماء الضالين كفرعون ومَلَكِهِ². ففي لحظة تأمله للمعاصر، أخذته الدهشة حين اكتشافها لأنه رآها لأول مرة تدور، وراح في تأمله لحال قصب السكر الذي أعجب بنفسه فتكبر على سائر أنواع القصب، وكذلك الزيتون في تعاليه على غيره في أعلى الأشجار، وسبب ذلك في نظره هو الغفلة وكفر النعمة وعدم ذكر صاحبها، وعدم شكره، وهذا طور تحوّل انتقل فيه الكائن بسبب حالة اعتقاده تفوقه الجديدة إلى متكبر ومعجب بنفسه، والمفروض أن يتأدب، ويعقل، ولا يفخر. فهناك مفهوم مختلف للكبر، إذ تحوّل إلى غياب للعقل وإلى قلة أدب، لأن ما أوجب الكبر من مزايا ليست من الكائن نفسه، بل هي هبة من الله وفضل ونعمة، يستوجب أن يشكرها قصب السكر والزيتون.

وهذا اختلال واضح، وانفصال عن الحقيقة، وهي في أصلها نتيجة عن العُجب، ولذلك قال المصنف: "لا تُعجب بعملك، وبفضله فافرح، واشكر"، فكل ما تخيلت أنه لك، ومنك، إنما يفوق قدرتك، "فنحن أجرينا لك عيون الماء" فلا "تفخر على غيرك" لأن "كل من تكبر على آخر يتكبر لمّا لم يره مثالا لنفسه ولا شكلا، أو يتكبر لمّا يرى نفسه سليمة عن العيوب، ويرى في غيره عيوباً، أو يرى لنفسه حقوقاً عليه فيتكبر، فإذا كان التكبر لهذا، فالخلق كلهم أكفاء بعضهم لبعض؛ لأنهم أمثال وأشكال، وفيهم العيوب والحاجات، فلا يسع لأحد التكبر على أحد، وإنما التكبر لله تعالى، فله يليق لما لا مثل له ولا شكل، منزّه عن العيوب كلها والحاجات؛ لذلك كان هو

¹ للمفسرين عدة آراء في تفسير معنى (الآيات) هنا، ينظر: القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 231/9.

² محمد رشيد رضا، *تفسير المنار*، بعناية: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط2/2005، بيروت، 168/9.

الموصوف بالكبرياء والعظمة¹، ولهذا ذكر ابن النعمان بالخلق، فقد أُخرج إلى الحياة "بقدره من يقول للشيء كن فيكون"، ومن الواضح أنه اختار الخلق متعمداً، إذ فيه يفقد الإنسان كل ما يدعيه، ويعترف بضعفه أمام من أوجده من العدم.

ولكي يعود التوازن، ويستيقظ الكائن، ويتحقق الاتصال، يجب أن يعاني الكائن من صعوبات الطريق، فيُقطع ويوضع في المعصرة، ويُنزل من مرتبته من على الأشجار، فيوضع تحت أحجار المعصرة، وبذلك وحده تُخلّص من الأكدار، فاستحقَّ مرتبة ورفعة، فأقسم الله به في كتابه ﴿وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ﴾ [التين، 1]، واستعمل زيتاً في إضاءة بيوت الله. ومن هنا، يتضح أن هدف المصنف هو محاولة إيضاح الطريق الذي يجب أن يسلكه الإنسان في سبيل التطهر والتنقية من أجل الوصول: "يتصل بأحوال السالكين" و"يحيا"؛ أي التعقل والتأدب وشكر الله على نعمه وعدم التكبر، وهذا ليحصل له حال السالكين. فابن النعمان يعتبر أن المتكبر لم يسمع قوله تعالى ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ [العنكبوت، 41]، وههنا إشارة هامة إلى ضعف المتكبر وزيف ادعائه الكمال والعظمة، لأنه في حقيقته أضعف من بيت العنكبوت. وهذه نتيجة مرحلة التحول الثاني؛ أي السقوط بعد الرفعة والتعاضم والإعجاب، لأن كُلاً من قصب السكر والزيتون والإنسان طبعاً قد طُحن وعُصر تحت الأحجار والمعاصر، وسيكون بذلك مؤهلاً ليتطهر من عيوبه ونزواته ويحقق كلام ربه، وقد يفتح عليه فيدرك أعمق إشاراته ومعانيه.

هي إذن حالة تحول من وضع طبيعي إلى حالة الإعجاب والكبر، وطبقاً لإفادة الماتريدي السابقة فإن الإنسان قد تخطى موقعه كعبد إلى موقع الألوهية؛ إذ أن مثاله موجود، بينما الله وحده لا مثل له، فهو وحده المتكبر والعظيم، وهذا المعنى هو بالضبط ما دفع ابن النعمان للحديث عن الإشراك مقابل الشكر، فالعبودية تقابل الألوهية، وتكبر العبد يعني أن ينتقل من العبودية إلى الألوهية، وذلك شكر. وبذلك يكون الشكر هو التوحيد الحقيقي بعكس الكبر، فهو يضمن القول بانتفاء اليد الإلهية في سبب الوجود وسبب النعم.

3.2 منهج المؤلف ومصادره:

اتضح -فيما سبق- أن ابن النعمان قد ارتأى منهجاً مغايراً في طرح مسألة الكبر والإعجاب، مبتعداً عن طريق الوعاظ التي اعتمدها في مؤلفات أخرى، فنصه هو نتيجة تأمل وتفكير في قصب السكر والزيتون، ولذلك فقد بناه كما يلي:

مرحلة التحول الأول، وهي البداية، وتتضمن (الرؤية)؛ رؤية المعاصر والأحجار، وملاحظة تكبر قصب السكر على غيره، و(الإشارة)، وهي التذكير بمصدر النعم.

مرحلة التحول الثاني، ويتم فيها عصر القصب، وتضم أيضاً إدراك وهن الإنسان المتكبر وضعفه، ومثال العنكبوت، ثم مثال الزيتون.

¹ الماتريدي، تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، ط1/2005، بيروت، 39/5.

مرحلة التأمل في ذاته هو عند رؤية العنكبوت، وتذكير نفسه.

فالنص يتحرك إذن وفق مسار تحويلين للعرين معاً؛ أي قصب السكر والزيتون. والكاتب يعمل على استدراج القارئ ليستنتج بنفسه العبرة من هذه التحولات، ذلك أنه يدفعه ليستثمر خبرته في الحياة ليسقط هذه الأمثلة من المخلوقات على أمثلة البشر في الواقع من الذين تكبروا وتعاضموا ثم سقطوا.

وابن النعمان يعتمد أساساً مسلك التأمل والاعتبار، أو (التذكرة) كما سماها هو وذلك بربط العناصر الخارجية مع دلالات داخلية عميقة، تُمكن القارئ من استنتاج العبرة.

لكن النص يخفي في طبقاته شبكة نصية واضحة ومتراصة شكّلت قاعدته المرجعية، وهي تتكون بشكل رئيس من ثلاثة عناصر بارزة:

1- القرآن الكريم: وهو المصدر الرئيس بالفعل، وهو يهيمن في النص على ما سواه، لكنه يختلف في حضوره بين النص الصريح:

-يورد آيتين حرفياً، أولهما ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ [العنكبوت، 41]، ويذكرها مرتين في سياق دقيق، بحيث يمتص دلالتها على وَهْنِ الإنسان وضعفه وكونه ملازماً لمقام العبودية لا يتعداه، لحاجته الدائمة لخالقه.

-وترد الآية الثانية ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل، 53] في سياق حديثه لنفسه وتقريعها ليذكرها حين نسيانها، فتستعيد توازنها عند إدراك الحقيقة الكبرى.

-وتحضر آيات أخرى من القرآن الكريم من خلال بصمات نصية دون إيرادها نصاً. فحين يذكر المتكبر بنعم الله يقول "أجرينا لك عيون الماء لتكون بك الحياة"، وهي عبارة تلتحم في دلالتها آيتان؛ قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام، 99]، وقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء، 30]، فالآية الثانية هي التي تعطي الدلالة الخفية للآية الأولى؛ إذ قد يبدو جريان الماء فضلاً ونعمة لا تسترعي انتباه المتكبر، ولذلك تأتي الآية الثانية لتبين أن هذه النعمة ليست الماء بل هي الحياة والوجود نفسه. ويبدو أن ذلك هو قصد الكاتب، لأنه يركز على نعمة الحياة، فيضع القارئ مرة أخرى بشكل أكثر وضوحاً أمام الإخراج من العدم "بقدرته من يقول للشيء كن فيكون"، وهي العبارة المركزية في قضية الخلق في النص القرآني، ولكنها لا تأتي في نص ابن النعمان لتفسير عملية الخلق نفسها، وإنما لبيان مصدر الحياة الذي هو هبة من عظمة الخالق وقدرته التي لا حدود لها، وليبين ضعف كل شيء في مقابلها، لأن نص الآية هو ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس، 82].

2- التصوف:

يحضر المنظور الصوفي في النص بقوة، ابتداء من المنظومة المصطلحية التي تؤثته؛ مثل (رؤية، الاتصال، السلوك، الخلوة، الأحوال، المقام، التحقق، سر الحروف، الأكدار...)، وهي كلها مصطلحات تضبط توجهه وتمنحه هويته، بل إنها تساهم أيضا في توجيهه القارئ إلى دلالات ورموز هي التي تؤطر أبعاد الموضوع الروحية، فالرؤية مثلا تدل على النظر بالعين كما هو واضح في مطلع النص، لكن اكتشاف آيات منها وحصول تذكرة بسببها ينقلها من مجرد الرؤية البصرية إلى رؤية باطنية تقوم على التأمل وتستتبع الاعتبار. وكذلك الاتصال، فهو يلي القطع، ويوهنا ابن النعمان أنه يربط بين القطع الفعلي لقصب السكر بالسكاكين وبين الانقطاع عن الله وعن المثل الروحية الواجبة والمنبثقة عن لزوم مقام العبودية، فقال: "قُطِعَتِ بِالسَّكَاكِينِ، لِيَحْصُلَ لَكَ الْإِتِّصَالُ بِأَحْوَالِ السَّالِكِينَ، فَأَدْخَلْتَ خُلُوةَ بَيْتِ الثَّوْتِ، لَتَتَّصِلَ بَعْدَ الْقَطْعِ، وَذَلِكَ بَعْدَ جَعْلِكَ تَحْتَ الْحَجَرِ، فَتَحْيَا بَعْدَ أَنْ كِدْتَ تَمُوتُ"، وهذه العبارة هامة؛ لأنها -من جهة- تشرح المدلول الحقيقي للقطع الذي قصده المؤلف، إذ تنقل معناه من مجرد القطع بالسكاكين إلى الدلالة على الابتعاد عن مقام العبودية، وهي توضح -من جهة أخرى- أن المسألة محصورة بين الضدين (القطع/الاتصال)، إذ عن طريق المعاناة والخلوة يحدث له الاتصال فيحيا بعد موت قلبه ويعبر عنها عند الحديث عن الزينون بقوله "لِيَحْصُلَ لَهُ سُلُوكُ الْأَبْرَارِ"، ويوضحها أكثر حين يقول: "تَخَلَّصَ مِنَ الْأَكْدَارِ، وَأَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي كِتَابِهِ". فقبل المعاناة وسلوك الطريق إلى الله كان الإنسان ميتا، وانتقاله إلى مقام التائين والسالكين طهره من أمراض النفس، ومنحه الحياة، فتقبل الله ورفع قدره.

ويرى ابن النعمان أن هذا التخلص والسلوك في طريق الأبرار هو في النهاية سفر، مثلما يمارسه الصوفية، لكنه سفر لا يستهدف المال أو النزهة، بل هو لإحياء القلوب ولقاء الإخوان، ذلك أن السفر الصوفي هو في جوهره هروب من الدنيا، وسير إلى الله، وسياحة في ملكوته بعين البصيرة والتأمل والاعتبار، قال الرومي: "وبرغم أنك طفت العالم، لأنك لم تطف من أجله، يكون لزاما عليك أن تطوفه مرة أخرى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام، 11]، ذلك السير ليس من أجلي بل من أجل الثوم والبصل. عندما لا تطوف في الأرض من أجله، يكون طوافك من أجل غرض آخر، وذلك الغرض يكون حجابا لك، لا يأذن لك برؤيتي"¹، ولا بد أن علاقة السفر الذي تحدث عنه بموضوع الكبير تنبع من يقظة حواس الإنسان الباطنة أمام عظمة الله وملكوته، ليدرك صغره، ولتكون وجهته إلى من هو معه دائما، يراعه ويحفظه.

لكن التصوف حاضر أيضا من الدفاع المؤلف الصريح عن المتصوفة، فيذكر اثنين من أبرز وأقدم أعلامهم (سهل التستري ومعروف الكرخي)، بوصفهما من ذوي المقامات العالية ممن وهبوا الاطلاع على أسرار الحروف، وهذا في مقابل بعض أهل الظاهر (المتفقهة الجهلة) الذي يتهمون عليهم ويتهمونهم بالباطنية أو بأنهم يهود. ولكن ما علاقة (أسرار الحروف) و(الباطنية) بالموضوع؟ قد يبدو ذلك بعيدا،

¹ جلال الدين الرومي، كتاب فيه ما فيه، ص: 309.

لا سيما وأنه أورد في سياق وصف المتصوفة وأهل العرفان أو الإنسان حين يتحول إلى مقام العبودية؛ "فَمَنْ أَسْمَعَهُ الْحَقُّ كَلَامَهُ حَيَّ بِرَبِّهِ، لَا بِرُؤْيَا عَمَلِهِ وَبِرَّهِ، وَتَحَقَّقَ بِسَمَاعِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَرَأَى فِي وَقْتِهِ لِذَلِكَ آيَةً، وَفُتِحَ لَهُ فِي الْحُرُوفِ مَا فُتِحَ عَلَى مَنْ تَحَقَّقَ بِأَسْرَارِهَا كَسَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَمَعْرُوفٍ، وَمَنْ هُوَ بِأَسْرَارِ الْحُرُوفِ مَعْرُوفٌ، وَلَمْ يَكُنْ فَهْمُهُ لَهَا كَمَا يَظُنُّهُ الْمُتَفَقِّهُةُ الْجَهْلَةُ بِأَهْلِ الشُّهُودِ وَيَنْقُلُونَهُ عَنِ الْبَاطِنِيَّةِ وَالْيَهُودِ، وَيُحَاشِي طَائِفَةُ الْحَقِّ عَنِ اعْتِقَادَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ"، لكن قصد ابن النعمان لا ينفصل في الحقيقة عن موضوع الكبير والإعجاب، لأنه ذلك مفهوم على ضوء مسلكه في التعمق في تأمل الأشياء والظواهر ومحاولة إدراك معانيها الباطنة، وذلك منهج يستجيب لما كرسه القرآن الكريم - كما سبق - في الحديث عن التأمل والاعتبار.

3-الشعر:

من عادة ابن النعمان أن يضمّن أعماله اشعارا لغيره وأشعارا من نظمه، يلخص فيها ما يورده نثرا، ولهذا كان شعره في الغالب نظما قريبا من شعر الفقهاء والعلماء عموما، ذلك أنه يتجه في هذه الأبيات والقصائد إلى مخاطبة المتلقي مباشرة بلهجة الواعظ، ويتخلل بذلك عن الرمزية الصوفية. ونظرة واحدة لكلا القطعتين اللتين ختم بهما رسالته، وفيهما يؤكد أن الشفاء الوحيد للإنسان من الكبير والعجب إنما هو التوبة إلى الله واللجوء إليه، فمن نظرة عامة نلمس المنزع التقريري الخطابي المباشر ونبرة الوعظ، وهو ما سلب الأبيات روحها الشعرية وحولها إلى نشر منظوم، وهو ما يشير إلى ابتعاده عن الرمزية الصوفية التي صاحبته في الرسالة وانخراطه في مسلك مختلف تماما، أساء إلى الشعر، وأفرغ المضمون من كثافته وطبيعته الإبداعية.

3. تحقيق نص (الدرء)

1.3 منهج التحقيق:

لقد كانت اكتشاف هذه الرسالة لابن النعمان التلمساني خطوة هامة، كونها إخراج عمل آخر من أعماله إلى الوجود، ذلك أن ما نشر من أعماله ما يزال قليلا مقارنة بعددها، ولا شك أن المساهمة في نشر التراث غير المنشور لأحد علمائنا هو في حد ذاته جهد جدير أن يبدل. والنسخة المعتمدة توجد في المكتبة السليمانية بتركيا، رقم التصنيف: 297.85 برقم المجموعة: 34 ورقم التسجيل البيبليوغرافية: 430786. وقد كتبت بخط نسخ متوسط الجودة، وتتكون من ثلاثة أوراق، تضم 27 سطرا، خصصت الأولى والثالثة للعنوان والرواية والسماع، وخصصت الثانية للنص. وتعود أهمية هذه النسخة لكونها كتبت سنة 726هـ بالمقابلة على نسخة قرئت على المؤلف سنة 677هـ، وصححها، ونقل ذلك في طبقة السماع بدقة، مما يجعلها ثمينة وفريدة ومتميزة وعلى قدر كبير من الأهمية. رغم حجمها الصغير مثل كثير عدد من رسائله، على خلاف بعض أعماله.

وبعد توثيق المخطوط، تم التدقيق في طبقة القراءة والسماع التي رويت بعد المقابلة على النسخة التي صححها وأقرها المؤلف بنفسه، وهي مجموعة من العلماء الذين تم ذكرهم، ومنهم ابن المؤلف، والشيخ رشيد الدين عبد النصير الأنصاري، وغيرهما ممن حضروا السماع. وقد اهتم التحقيق بضبط النص بالشكل، واجتهد في الالتزام بعدم التدخل إلا في حالة اقتراح تصويب أو التنبيه على نحو تسبب في عدم وضوح الكلمة. كما التزم التحقيق بشرح المصطلحات الصوفية أساساً أو الكلمة التي تستدعي الشرح من القواميس، إضافة إلى التعريف بالشخصيات المذكورة في متن الرسالة. ومن الطبيعي كذلك أن يتم تخرج الآيات الكريمة بالإشارة إلى أرقامها والصور التي وردت فيها. وكل هذا من أجل محاولة إخراج النص كما أراده مؤلفه.

2.3 النص المحقق:

طباق الرواية والسماع والمقابلة على نسخة المؤلف

كِتَابُ دَرْءِ الْكَبِيرِ وَالْإِعْجَابِ لِلنَّاظِرِ بِرُؤْيَا أَحْجَارِ الزَّيْتِ وَالْمَعَاصِرِ

إِمْلَاءُ السَّيِّدِ الْإِمَامِ الْقُدْوَةِ الرَّاهِدِ الْعَابِدِ الْحَافِظِ

شَمْسِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ الْهَنْتَانِيِّ الْمُرَالِي

قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَنَوَّرَ ضَرْيَحَهُ

رَوَايَةُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَالِمِ الْأَوْحَدِ، رَشِيدِ الدِّينِ، أَبِي الْفَتْوحِ، عَبْدِ النَّصِيرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ نَسِيمِ الْأَنْصَارِيِّ¹، عَنْهُ،
رَوَايَةُ كَاتِبِهِ الْعَبْدِ الْفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُورٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَشِيدِ الشَّافِعِيِّ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ،

سَمِعَ هَذَا الْجُزْءَ عَلَى مُؤَلِّفِهِ؛ سَيِّدِي وَسَنَدِي وَقُدُّوتِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، الشَّيْخِ الْعَارِفِ بِاللَّهِ، قُدْوَةِ الْعَارِفِينَ، لِسَانِ
الْمُتَكَلِّمِينَ، أَوْحَدِ عَصْرِهِ، وَفَرِيدِ ذَهْرِهِ، شَمْسِ الدِّينِ، أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ، جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي الْجَنَّةِ، الْفَقِيرُ
الْأَجَلُّ شَمْسِ الدِّينِ، أَبُو² عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ مَحَلَى بْنِ رَاشِدٍ بْنِ جَابِرٍ، اللَّخْمِيُّ، وَالْحَاجُّ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ،

¹ رشيد الدين، أبو الفتوح، عبد النصير، بن محمد بن يعقوب بن محمد ابن نسيم، الأنصاري، وصفه ابن رافع السلامي بالصدر الكبير المحدث، وقال إنه درس على العز الحزاني وغيره، وأن له نظماً، وكانت وفاته ببليبيس سنة: 742هـ، محمد بن رافع، الوفيات، تحقيق: صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، ط1/1982، بيروت، ترجمة: 304 ج 408/1، وقال الحسيني إنه مات وعمره 98 سنة، فيكون مولده في 644هـ، الحسيني، دليل العبر، تحقيق: محمد رشاد عبد المطلب، وزارة الإعلام، ط2/1986، الكويت، ص: 228،
² كتبت في الأصل (أبي).

الْمَغْرِبِيُّ الْقَاسِي، وَكَاتِبُ الطَّبَقَةِ وَالْقَارِي، الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، حَمْدُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ بَنِي حَمْدٍ، اللَّحْمِيُّ نَسَبًا، الشَّافِعِيُّ مَذْهَبًا، الْأَشْعَرِيُّ اعْتِقَادًا، وَصَحَّ ذَلِكَ وَثَبَتَ لِخَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْ شُعْبَانَ الْمُبَارَكِ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْأَخَ الْحَبِيبَ مَالِكَ الْجُزْءَ بِالْقِرَاءَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي التَّارِيخِ الْمَذْكُورِ الْفَقِيهَ الْأَجَلُ [1.....] رَشِيدُ الدِّينِ، أَبُو الْفُتُوحِ عَبْدُ النَّصِيرِ بَنِي الْعَدْلِ شَمْسِ الدِّينِ، مُحَمَّدٌ بَنِي يَعْقُوبَ بَنِي نَسِيمِ الْأَنْصَارِيِّ الشَّافِعِيِّ الْأَشْعَرِيِّ، كَتَبَهُ حَمْدُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ بَنِي حَمْدٍ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُمَا، نَقَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَطِّ الْقَارِي، وَقَالَ: خَطُّ الشَّيْخِ تَحْتَ الطَّبَقَةِ الْمَذْكُورَةِ:

صَحَّ ذَلِكَ، كَتَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ النُّعْمَانِ.

قَرَأْتُ جَمِيعَ هَذَا الْجُزْءِ عَلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَالِمِ، رَشِيدِ الدِّينِ، أَبِي الْفُتُوحِ، عَبْدِ النَّصِيرِ بَنِي يَعْقُوبَ بَنِي نَسِيمِ الْأَنْصَارِيِّ بِسَمَاعِهِ، فَسَمِعَهُ وَلَدَهُ صَالِحَ الدِّينِ مُحَمَّدًا، وَالشَّيْخَ النَّحْوِيَّ، أَبُو زَكْرِيَاءَ بَنِي يَحْيَى بَنِي [2.....] الْبَجَائِي، وَصَحَّ وَثَبَتَ فِي لَيْلَةٍ سَفَرَ صَبَاحُهَا عَنِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، بِمَدِينَةِ بَلْبَيسَ عَمَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَأَجَازَ لِي مَا يَرْوِيهِ. وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ. وَكُتِبَتْ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَامِلُ الْقُدُّوَةُ، الْعَارِفُ بِاللَّهِ، شَيْخُ الْمُحَقِّقِينَ، لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ، شَمْسُ الدِّينِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ النُّعْمَانِ رحمته الله، وَقَدْ نَظَرَ إِلَى الْمَعْصَرَةِ وَهِيَ تَدُورُ:

رُؤْيُ الْمَعَاوِرِ³، بِهَا آيَاتٌ خَفِيَّاتٌ جَلِيَّاتٌ لِدَوِي الْبَصَائِرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ الْمَعْصَرَةَ حَصَلَ لِي بِهَا تَذْكِرَةٌ⁴، أَيْ تَذْكِرَةٌ! وَكُنْتُ لَمْ أَرِ الْمَعَاوِرَ عِنْدَ دَوْرَانِهَا، فَوَقَعَ فِي سِرِّي أَنَّ الْقَصَبَ أَجَنَاسَ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ لِلنَّاسِ؛ فَمِنْهَا قَصَبُ الْعَابَةِ، وَمِنْهَا قَصَبُ السُّكْرِ، الَّذِي طُيَّبَ قَطَابٌ، فَحَصَلَ بِهِ النَّفْعُ لِلْعَالَمِينَ، وَفِي ذَلِكَ تَنْبِيْهُ لِلسَّالِكِينَ⁵.

¹ كلمة مطموسة وهي وصف للمذكور، وقد تكون (الشيخ) كما ورد في البداية.

² كلمة غير واضحة لم أتمكن من قراءتها.

³ المعاصر، جمع معصرة، و"المعصرة: التي يعصر فيها العنب. والمعصرة: موضع العصر. والمعصار: الذي يجعل فيه الشيء ثم يعصر حتى يتحلب ماؤه. والعواصر: ثلاثة أحجار يعصرون العنب بها يجعلون بعضها فوق بعض. وقولهم: لا أفعله ما دام للزيت عاصر، يذهب إلى الأبد"، ابن منظور، لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، (عصر).

⁴ التذكرة: أي العبرة والتبصرة، وفي القرآن الكريم ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾، عبس، [11-12]، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، المدثر، [54-55].

⁵ السالك مصطلح صوفي، قال القاشاني: "السالك: السائر إلى الله، المتوسط بين المريد والمنتهي مادام في السير"، اصطلاحات الصوفية، تحقيق: موفق فوزي الجبر، دار الحكمة، ط1 دمشق، ص: 31، وقال ابن عربي: "هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه، فكان العلم له عينا"، اصطلاح الصوفية (ضمن رسائل ابن عربي)، دار المدى، ط2/2001، بيروت، 304/2، والجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديقي المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص: 100، فهو لا يسير بعقله وتصوره بل بحاله؛ أي أنه "السالك بقلبه"، ابن ليون التجيبي: "الإلهالية العلمية"، تحقيق: عبد الكريم بن الناس، كنز ناشرون، ط1/2025، بيروت، ص: 210، فهو من تاب وسار في طريق بذل الجهد للترقي.

إِشَارَةٌ. قِيلَ بِلِسَانِ الْحَالِ لِقَصَبِ السُّكَّرِ: لَا تَغْفُلْ عَنْ ذِكْرِ مَوْلَاكَ، وَلِنَعْمِهِ لَا تُكْفَرْ، وَلَا تُعْجَبْ بِعَمَلِكَ، وَبِقَضَائِهِ فَافْرَحْ، وَاشْكُرْ. اخْتَرْنَا لَكَ الْأَرْضَ الطَّيِّبَةَ لِتَكُونَ ذَاتَكَ طَيِّبَةً، سَخَرْنَا لِحَدَمَتِكَ مَنْ يَعْقِلُ وَمَنْ لَا يَعْقِلُ، فَتَادَّبْ، وَلَا تَفْخَرْ عَلَى غَيْرِكَ، وَاعْقِلْ.

أَجْرَيْنَا لَكَ عُيُونَ الْمَاءِ لِيَكُونَ بِكَ الْحَيَاءُ، فَلَمَّا طَبِتَ، وَرَأَيْتَ لَكَ الْفَخْرَ عَلَى الْقَصَبِ الْفَارِسِيِّ وَالْعَاقِبِ، وَحَصَلَ لَكَ الْإِعْجَابُ، فَطُغْتَ بِالسَّكَاكِينِ، لِيَحْصُلَ لَكَ الْإِتِّصَالُ بِأَحْوَالِ السَّالِكِينَ، فَأَدْخِلْتَ خُلُوةً¹ بَيْتِ الثُّوتِ، لِتَتَّصِلَ بَعْدَ الْقَطْعِ، وَذَلِكَ بَعْدَ جَعْلِكَ تَحْتَ الْحَجَرِ، فَتَحْيَا بَعْدَ أَنْ كِدْتَ تَمُوتُ، وَيُزُولُ عَنْكَ الْعُجْبُ وَالْفَخْرُ، وَتَسْمَعَ عِنْدَ ذَلِكَ قَوْلَ الْحَقِّ **﴿وَأَنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِثُ الْعَنْكَبُوتِ﴾** [العنكبوت، 41]، وَلَا يَرَى الْعَبْدُ رَبَّهُ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ حَتَّى يَمُوتَ.

وَمَادَامَ يَبْنِي لَهُ مَجْدًا أَوْ ثَنَاءً، أَوْ يَرَى لَهُ مَقَامًا، أَوْ كَلَامًا، فَهُوَ مِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ، **﴿وَأَنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِثُ الْعَنْكَبُوتِ﴾**، فَمَنْ أَسْمَعَهُ الْحَقُّ كَلَامَهُ حَيَّيْ بَرِيَّةً، لَا بِرُؤْيَا عَمَلِهِ وَبَرِيَّةً، وَتَحَقَّقَ بِسَمَاعِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَرَأَى فِي وَفْقِهِ لِذَلِكَ آيَةً²، وَفُتِحَ لَهُ فِي الْحُرُوفِ مَا فُتِحَ عَلَى مَنْ تَحَقَّقَ بِأَسْرَارِهَا³، كَسَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ⁴، وَمَعْرُوفٍ⁵، وَمَنْ هُوَ بِأَسْرَارِ الْحُرُوفِ مَعْرُوفٌ، وَلَمْ يَكُنْ فَهْمُهُ لَهَا كَمَا يَظُنُّهُ الْمُتَعَقِّفُ¹ الْجَهْلَةُ بِأَهْلِ بِأَهْلِ الشُّهُودِ²، وَيَنْقُلُونَهُ عَنِ الْبَاطِنِيَّةِ³ وَالْيَهُودِ. وَيُحَاشِي طَائِفَةُ الْحَقِّ عَنِ اعْتِقَادَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ، وَيَنْزِعُ عَنْ ذَلِكَ طَائِفَةُ الصُّوفِيَّةِ.

¹ **الخلوة** في المصطلح الصوفي هي "محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره. هذا حقيقة الخلوة ومعناها، وأما صورتها فهي ما يتوسل به إلى هذا المعنى من التبتل إلى الله"، القاشاني: **اصطلاحات الصوفية**، ص: 31، وابن ليون التجيبي، **الإتالة العلمية**، ص: 198، أي جوهر الخلوة ألا تكون مع غير الله، أما طريقتها فكل ما يبعدك عن الناس وبيدك مع الله فقط، ولذا يجب أن يكون العقل والقلب مركزا في الخلوة على الله، قال يحيى بن معاذ: "انظر: أنسك بالخلوة؟ أو أنسك معه في الخلوة؟ فإذا كان أنسك بالخلوة ذهب أنسك إذا خرجت منها، وإذا كان أنسك به في الخلوة استوت بك الأماكن في الصحاري والبراري"، القشيري، **الرسالة القشيرية**، بعناية: أنس محمد الشرفاوي، دار المنهاج، ط2/2017، بيروت، ص: 313، ولذلك اعتبر القشيري الخلوة من صفات أهل الصفة، أما العزلة فتليق بالمريد في ابتداء حاله، المصدر نفسه، ص: 313.

² يعتمد المصنف التجنيس بين كلمة (الآية) الأولى التي تعني آية من القرآن الكريم، وكلمة (آية) الثانية وتعني عبرة.

³ يقصد بأسرار الحروف عدة معانٍ؛ وهو مصطلح له دلالات عدة. فالحرف عند ابن عربي هو "اللغة، وهو ما يخاطبك به الحق من العبارات"، **اصطلاح الصوفية**، 312/2، لكن دلالة ذلك ليست في المعنى السطحي، يقول القاشاني: "الحروف هي الحقائق البسيطة للأعيان"، **اصطلاحات الصوفية**، ص: 26؛ أي أنها دلالة سطحية، ثم يذكر القاشاني (الحروف العالية) ويعرفها أنها: "الشؤون الذاتية الكامنة في غيب الغيوب، كالشجرة في النواة"، ص: 26، ويبدو أن هذا ما يقصده المصنف؛ أي مضمرة الحروف وبواطنها ومعانيها البعيدة. وقد أوضح ابن خلدون أن ذلك نشأ عن الخوض في علم المكاشفة لدى الصوفية، "من الكمال الأسامي الذي كانت مظاهره أرواح الأغلاك والكواكب وأن طبائع الحروف سارية في الأسماء والأكوان من لدن الإبداع الأول تنتقل في أطواره وتغرب عن أسرارها، فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهو علم لا يوفق على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله، تعددت فيه تواليف البوني وابن العربي وغيرهما ممن اتبع آثارهما. وحاصله عندهم تصريف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان"، **شفاء السائل لتهديب المسائل**، تحقيق: أبو يعرب المرزوقي، الدر العربية للكتاب، 1991، ليبيا، ص: 215-217، لكن فئة أخرى جعلت "سر التصريف الذي في الحرف للنسبة العددية" ومنه أحرف (أبجد هوز..) ومن هذه الفئة تكون علم الطلسمات (والسيمياء) وما عرف بعلم الحروف، ولهذا السبب ذكر المصنف هنا الباطنية واليهود.

⁴ هو أبو محمد، سهل بن عبد الله التستري (ت 283هـ)، نسبة إلى (تستر) ببايران، أحد أوائل وكبار الصوفية، أقام في البصرة فأخذ التصوف عن خاله محمد بن سوار، ثم بعبادان عن حمزة العباداني، كما صحب ذا النون المصري. طرد بعد تكفيره من تستر إلى البصرة فأقام بها إلى وفاته. من تلاميذه: الحلاج، وأبو يعقوب السوسي. ترك عددا من المؤلفات، منها: تفسير القرآن الكريم، ودقائق المحبين، ومواعظ العارفين وغيرها. وأثر بعمق في حركة التصوف. ينظر: القشيري: **الرسالة القشيرية**، ص: 130، وأبو نعيم: **حلية الأولياء**، ترجمة: 554، 251/8، وابن الملقن، **طبقات الأولياء**، ترجمة: 43، ص: 232، وابن خميس: **مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار**، تحقيق: محمد أديب الجادر، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1/2006، دبي، ترجمة: 11، ج1/206، والذهبي: **العبر**، 76/2، وغيرها. والذهبي: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: علي أبو زيد وإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط9/1993، بيروت، 330/13، و**مناقب معروف الكرخي وأخباره**، لابن الجوزي، دراسة وتحقيق عبد الله الجبور، دار الكتاب العربي، ط1/1985، مصر، وتحقيق: صادق محمد الجميلي ضمن مجلة المورد، العدد 04 سنة 1980، بغداد، والمناوي: **الكواكب الدرية**، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر، 2003، بيروت، 508-499/1 ترجمة: 254، والزركلي: **الأعلام**، 143/3.

⁵ هو أبو محفوظ، معروف بن فيروز الكرخي (ت 200هـ)، من مشاهير وأوائل المتصوفة الأعلام. ويذكر أن ولد مسيحيا ثم أسلم وهو صبي وأسلم والداه، وقد وعاش وتوفي ببغداد. روى عنه بعض العلماء وأثنوا عليه، وله تراث من الأقوال والمواقف والكرامات. ينظر: القشيري: **الرسالة القشيرية**، ص: 109، والذهبي: **سير أعلام النبلاء**، 339/9، والسلمي، **طبقات الصوفية**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط2/2003، بيروت، ترجمة: 10 ص: 80، وابن الجوزي: **صفة الصفوة**، تحقيق: طارق محمد عبد المنعم،

وَمِنْ ذَلِكَ الزَّيْتُونُ، فَإِنَّهُ أُخْرِجَ مِنْ كَيْنٍ⁴ (كُنْ)، يُغْدِرُهُ مَنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ (كُنْ فَيَكُونُ)⁵، فَلَمَّا ظَهَرَ وَسَنًا بِالسَّنَا، وَجَاءَ خَيْرُهُ وَمَا لِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْحِمَى، فَرَأَى عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ لِنَفْسِهِ حَمَى، فَتَقَضَّ مِنْ عَلَى الْأَشْجَارِ، وَجُعِلَ تَحْتَ الْأَحْجَارِ، لِيَحْصُلَ لَهُ سُلُوكُ الْأَبْرَارِ، الَّذِينَ سَافَرُوا مِنْ خَوْفِهِمْ [لَمَّا⁶] سَنَحَ هُمُ السَّفَرُ⁷، فَسَافَرُوا لِإِحْيَاءِ الْقُلُوبِ وَالْأَرَاضِي الْبَوَارِ، وَلِلْقَاءِ الْإِخْوَانِ الَّذِينَ تَعَارَفَتْ أَرْوَاحُهُمْ عَلَى حَبَّةِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَلَمْ يُسَافِرُوا لِلنُّزْهَةِ وَلَا لِزُيُوتِ الْأَزْهَارِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَنْثَارِ.

فَلَمَّا تَقَضَّ عَنْ الْأَشْجَارِ، وَجُعِلَ تَحْتَ حَجَرِ الْإِصْطِبَارِ، تَخَلَّصَ مِنَ الْأَكْدَارِ، وَأَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي كِتَابِهِ⁸، وَاسْتُضِيءَ بِهِ فِي بُيُوتِ اللَّهِ الْعَظِيمِ بِالْأَسْحَارِ⁹.

ذَكَرْتُ [وَقْتُهَا¹⁰] نِعَمَ اللَّهِ عَلَيَّ، فَرَأَيْتُ النَّفْسَ لِإِشْرَاكِهَا، نَاسِيَةً نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهَا، فَتَلَوْتُ عَلَيْهَا ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل، 53] لِأَعْلِمَهَا بِإِشْرَاكِهَا.

دار ابن خلدون، (دب)، الإسكندرية، ترجمة: 260 ص: 422، وابن الملقن: *طبقات الأولياء*، ترجمة: 58 ص: 280، وابن خلكان: *وفيات الأعيان*، ترجمة: 729، 231/5، والزركلي: *الأعلام*، 269/7.

¹ يقصد بالمتفقه أشباه الفقهاء المتعصبين للظاهر، ويسارعون إلى إطلاق الأحكام والتهم.
² أهل الشهود: قسّم الهروي الرغبة إلى ثلاث درجات؛ رغبة أهل الخبر، ورغبة أهل الحال، ورغبة أهل الشهود، *منازل السائرين*، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، ط1/2007، مصر، ص: 68، فهم درجة من العارفين والمتصوفة، قال ابن عطاء الله: "وأرباب الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهود والعيان"، *لطائف المنن*، مكتبة القاهرة، ط3/2004، مصر، ص: 29. والشهود: "رؤية الحق بالحق"، الجرجاني، *معجم التعريفات*، ص: 111، والقاشاني: *اصطلاحات الصوفية*، ص: 44، ومنه فسر الجرجاني المشاهدة بأنها "تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، وتطلق بإزاره على رؤية الحق في الأشياء، وذلك هو الوجه الذي له تعالى بحسب ظاهره في كل شيء"، ص: 180، وفي شرح ابن قيم الجوزية لقول الهروي: "المشاهدة: المشاهدة سقوط الحجاب بتأ" قال إن "مراد الشيخ ومن وافقه من أهل الاستقامة بالمكاشفة والمشاهدة قوة اليقين، ومزيد العلم، وارتفاع الحجب المانعة من ذلك، لا نفس معاينة الحقيقة"، ومنه فإن "المكاشفة تتعلق بالصفات الإلهية، فولايته ولاية النعوت والأوصاف؛ أي: سلطانه وما يتعلق به، هو النعوت والصفات وسلطان المشاهدة وما يتعلق به، هو نفس الذات الجامعة للنعوت والصفات، فلذلك كانت فوقها، وأكمل منها" "فمن شاهد الصفات كذلك، وجال قلبه في عظمتها فهو مشغول بالصفات، ومتفرق قلبه في متعلقاتها في أنفسها، بخلاف من قصر نظره على نفس الذات، وشاهد قدمها وبقائها، واستغرق قلبه في عظمة تلك الذات، بقطع النظر عن صفاتها، فهو مشاهد للعين، والأول مشاهد للصفات، فالأول في فرق، وهذا في جمع، فمن استغرق قلبه في هذا المشهد استحق اسم المشاهد، ووصف المشاهدة عند القوم إذا غاب عن إدراك رسمه، وكل ما فيه من علم أو عمل أو حال"، *مدارج السالكين*، 219/3-220. ويقول ابن ليون التجيبي إن "المشاهدة رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، وتطلق على رؤية الحق بالأشياء، وبإزاء تحقيق رؤية زيادة الحال"، *الإتالة العلمية*، ص: 202.

³ الباطنية: قال الشهرستاني: "لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه"، *الملل والنحل*، تحقيق: أحمد قهقي محمد، دار الكتب العلمية، ط2/1992، بيروت، 200/1-201، وكانت بدايتهم مع ميمون بن ديصان (القذّاح) مولى جعفر الصادق، وضم إليه غلاة الشيعة، ومنهم القرامطة (نسبة إلى حمدان القرمطي) الذين اعتبروا أنفسهم من الشيعة الإسماعيلية. عبد القاهر البغدادي، *الفرق بين الفرق*، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، 1988، مصر، ص: 247-248، والغزالي: *فضائح الباطنية*، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار الكتب الثقافية، 1964، الكويت، ص: 11 وما بعدها.
⁴ الكن، والكنة والكنان: وقاء كل شيء وستره، والكن: البيت أيضا، والجمع أكنان وأكنة. والكن: كل شيء وقى شيئا فهو كنه، ووكّن الشيء يَكْنُهُ كَنًّا وَكُنُونًا: ستره، ومنه المكنون. ابن منظور، *لسان العرب*، (كنن).

⁵ يحيل المؤلف إلى قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس، 82].

⁶ الكلمة غير واضحة، واقترحت ما بدت قريبة منها.

⁷ السفر عند الصوفية "عبارة عن سير القلب عند أخذه في التوجه إلى الحق بالذكر"، الجرجاني، *معجم التعريفات*، ص: 103، وابن عربي، *اصطلاح الصوفية*، 304/2، والقاشاني، *اصطلاحات الصوفية*، ص: 42، وابن ليون التجيبي، *الإتالة العلمية*، ص: 210، وقد ذكر كل من الجرجاني والقاشاني أسفارا أربعة، ويرى ابن ليون أن المسافر هو "الذي عبر عن العدو الدنيا إلى العدو القصوى، أي خرج عن الأوصاف الدنية إلى الأوصاف العلية، ويقال على السالك، وهو المسافر بقلبه"، ص: 204. وكما ذكر المؤلف فإنه "ليس من آداب الصوفية السفر للدوران والنظر إلى البلدان وطلب الأرزاق، ولكنهم يسافرون إلى الحج، والجهاد، ولقاء الشيوخ، وصلة الرحم، ورد المظالم، وطلب العلم، ولقاء من يفيدون منهم شيئا في علوم أحوالهم"، عبد المنعم الحفني، *الموسوعة الصوفية*، مكتبة مدبولي، ط1/2003، القاهرة، ص: 794 رقم: 461.

⁸ يقصد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَئِنْ نَادَوْا لَسَافِرُونَ﴾ [التين، 1].

⁹ كان زيت الزيتون يستخدم في إضاءة المصابيح والقناديل.

¹⁰ الكلمة غير واضحة جيدا.

وَكُنْتُ مُوقَفًا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَرَأَيْتُ عَلَى طَوْفِي¹ عُنْكَبُوتًا، وَوَقَعَ فِي سِرِّي عَنْكَ [موثر²]، وَلِذَلِكَ سَمَّيْتُ مَا وَقَعَ مِنْ
مِنْ ذَلِكَ (دَرءُ الْكَبِيرِ وَالْإِعْجَابِ لِلنَّاظِرِ بِرُؤْيَةِ أَحْجَارِ الزَّيْتِ وَالْمَعَاصِرِ)، وَقُلْتُ: (بحر الطويل)

دَوَاءُ الَّذِي بِالْكَبْرِ وَالْعُجْبِ قَابِلًا
لِنَفْسٍ لَهُ، ذَاكَ الشَّقِيَّ بِلَا شَكِّ
شِفَاءً لَهُ، أَلَّا يَرَى غَيْرَ رَبِّهِ
فَيَبْرَأَ مِنْ أَفْعَالِهِ الَّذِي يَشْكِي
يَقُولُ: إِلَهِي ثُبْتُ مِنْ رُؤْيَايَ لَهَا
فَيَبْكِي عَلَى تَفْرِيطِهِ، حَقٌّ أَنْ يَبْكِي

وَقُلْتُ أَيْضًا: (بحر الطويل)

دَوَاءُ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ الْكِبَرُ وَالْعُجْبُ
يُتَوَبُّ إِلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ، فَذَا الطَّبُّ
وَيَبْرَأُ مِنْ أَفْعَالِهِ.....³ بَيَا ذَا الْفَضْلِ أَنْتَ لِي الرَّبُّ

آخِرُهُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ [وَالشُّكْرُ]⁴.

4. خاتمة:

رغم أن أعمال ابن النعمان المنشورة ما تزال يسيرة مقارنة بعدد مؤلفاته الكبير، إلا أن صورته بدأت تتضح شيئاً فشيئاً، فعلى الرغم من شخصيته كفقيه وراوي للحديث، إلا أن التصوف ظل يلزمه في كل أعماله، وهو كصوفي متمرس سعى إلى تعميق دراسته لمختلف الظواهر والقضايا، باعتبار أن ظاهرها لا يبرز دوافعها وحقائقها. وقد تكون أهمية دراسة ونشر هذه الرسالة في اكتشاف هذا الجانب ولكن من خلال مساهمة تختلف عن غيرها من أعماله، إذ يظهر فيها وجه الصوفي العرفاني مضموناً وأسلوباً، بعيداً عن مسائل الاستغاثة أو التبرك ونحوها مما تناوله في مؤلفات أخرى. وسيبقى تراث ابن النعمان ورشة للتحقيق والدراسة، من أجل استكشاف جوانب هذه الشخصية العلمية والصوفية التلمسانية الكبيرة.

5. قائمة المراجع:

-إبراهيم أنيس وزملاؤه، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط2/1972، القاهرة.

¹ الطوف: القلذ. وطوف القصب: قدر ما يسقاه، لسان العرب (طوف). والطوف: جدار أو حاجز يقام حول قطعة من الأرض، والمعجم الوسيط، إخراج إبراهيم أنيس وزملائه، مجمع اللغة العربية، ط2/1972، القاهرة، ص: 571 (الطوف)
² الكلمة غير واضحة جيداً.
³ الكلمات مطموسة وغير واضحة.
⁴ الكلمة غير واضحة جيداً، وقد تكون (والمنة).

- الأدفي، جعفر بن محمد، *البدر السافر عن أنس المسافر*، تحقيق: قاسم السامرائي وطارق طاطمي، الرابطة المحمدية للعلماء، ط1/2015، الرباط.
- الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، *حلية الأولياء*، تحقيق: سامي أنور جاهين، دار الحديث، 2009، القاهرة.
- البرزالي، أبو محمد القاسم بن محمد الإشبيلي، *المقتفي على كتاب الروضتين*، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، ط1/2006، بيروت.
- بروكلمان، كارل، *تاريخ الشعوب الإسلامية*، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط5/1968، بيروت.
- البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني، *إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون*، دار إحياء التراث العربي، 1921، بيروت.
- البغدادي عبد القاهر بن طاهر البغدادي، *الفرق بين الفرق*، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، 1988، مصر.
- بلوط، علي الرضا قره وأحمد طوران قره بلوط، *معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم*، دار العقبة، ط1/2001، قيصري، تركيا.
- التجبي، ابن ليون، " *الإنالة العلمية*، تحقيق: عبد الكريم بن الناس، كنز ناشرون، ط1/2025، بيروت.
- ابن تغري بردي، أبو الحسن جمال الدين يوسف، *النجوم الزاهرة*، دار الكتب المصرية، 2004، القاهرة.
- التفتازاني، أبو الوفاء الغنيمي، *مدخل إلى التصوف الإسلامي*، دار الثقافة، ط3/1979، مصر.
- التقي الفاسي، أبو الطيب محمد بن أحمد الحسني، *ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد*، تحقيق: محمد صالح بن عبد العزيز المراد، جامعة أم القرى، ط1/1997، السعودية.
- الجرجاني، الشريف علي بن محمد، *معجم التعريفات*، تحقيق: محمد صديقي المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.
- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين، *مناقب معروف الكرخي وأخباره*، دراسة وتحقيق عبد الله الجبور، دار الكتاب العربي، ط1/1985، مصر.
- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين، *مناقب معروف الكرخي وأخباره*، بتحقيق: صادق محمد الجميلي ضمن مجلة المورد، العدد 04 سنة 1980، بغداد.
- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين، *صفة الصفوة*، تحقيق: طارق محمد عبد المنعم، دار ابن خلدون، (د.ت)، الإسكندرية.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، *كشف الظنون*، دار إحياء التراث العربي، 1941، بيروت.
- ابن حبيب، بدر الدين الحسن بن عمر، *تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه*، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب، 1976، مصر.
- ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، *الدرر الكامنة*، دار الجيل، 1993، بيروت.
- ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، *المنتخب من أمالي ابن حجر من تخريج مختصر ابن الحاجب*، (مخطوط)، نشر المكتبة الشاملة، ورقة: 1. <https://shamela.ws/book/11118/2>
- الحسيني، محمد بن علي، *ذيل العبر*، تحقيق: محمد رشاد عبد المطلب، وزارة الإعلام، ط2/1986، الكويت.

- الحفني، عبد المنعم، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي، ط1/2003، القاهرة.
- الحنبلي، ابن العماد، شهاد الدين عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1/1991، دمشق.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، شفاء السائل لتهذيب المسائل، تحقيق: أبو يعرب المرزوقي، الدر العربية للكتاب، 1991، ليبيا.
- ابن خميس، الحسين بن نصر، مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار، تحقيق: محمد أديب الجادر، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1/2006، دبي.
- الدراجي بوزياني، القبائل الأمازيغية، دار الكتاب العربي، ط1/2010، الجزائر، ص: 209.
- الدمياطي، أبو محمد عبد المؤمن بن خلف، الكتاب الثامن من معجم شيوخ الدمياطي، نشر برنامج جوامع الكلم، 2004.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، (الجزء المفقود 17)، تحقيق: سيد حسين العفاني وخيري سعيد، مؤسسة الرسالة، ط11/1996، القاهرة.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: علي أبو زيد وإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط9/1993، بيروت.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، العبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دائرة المطبوعات والنشر، 1960، الكويت.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1/2000.
- رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، بعناية: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط2/2005، بيروت.
- الرومي، جلال الدين، كتاب فيه ما فيه، ترجمة عيسى علي الكاعوب، دار الفكر، ط1/2002، دمشق.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15/2002، بيروت.
- السيدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد، ملء العيبة، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، ط1/1982، تونس.
- السخاوي، أبو الحسن علي بن أحمد، القول البديع في الصلاة على النبي الشفيع، بعناية: محمد عوامه، مؤسسة الريان، ط1/2002، السعودية.
- السخاوي، أبو الحسن علي بن أحمد، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، بعناية: محمد ربيع وحسن قاسم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2004، مصر.
- السلامي، محمد بن رافع، الوفيات، تحقيق: صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، ط1/1982، بيروت.
- السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين، طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط2/2003، بيروت.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، حسن المحاضرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1/1967، مصر.
- ابن شاعر، محمد بن أحمد الكتيبي، عيون التواريخ، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داود وفيصل السامر، وزارة الثقافة والإعلام، العراق.

-شاكرا، محمود، **التاريخ الإسلامي**، المكتب الإسلامي، ط 2000/5، بيروت.

-الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**، تحقيق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، ط 1992/2، بيروت.

-الشعراني، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط 2005/1، القاهرة.

-ابن الصباغ، محمد بن أبي بكر الحميري، **درة الأسرار وتحفة الأبرار**، المكتبة الأزهرية للتراث، 2001، القاهرة.

-الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط 2000/1، بيروت.

-ابن عربي، محي الدين محمد بن علي، **اصطلاح الصوفية** (ضمن رسائل ابن عربي)، دار المدى، ط 2001/2، بيروت.

-ابن عباد، أحمد بن محمد، **المفاخر العلية**، المكتبة الأزهرية للتراث، 2004، القاهرة.

-الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، **إحياء علوم الدين**، دار ابن حزم، ط 2005/1، بيروت.

-الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، **الحكمة في مخلوقات الله**، تحقيق: محمد رشيد قباني، دار إحياء العلوم، ط 1978/1، بيروت.

-الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، **فضائح الباطنية**، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار الكتب الثقافية، 1964، الكويت.

-الفاكهاني، تاج الدين عمر بن علي بن صدقة اللخمي، **الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير**، مركز اهللسنة، ط 2001/1، الهند.

-القاشاني، كمال الدين عبد الرزاق، **اصطلاحات الصوفية**، تحقيق: موفق فوزي الجبر، دار الحكمة، ط 1 دمشق.

-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد الحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط 2006/1، بيروت.

-القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، **الرسالة القشيرية**، بعناية: أنس محمد الشرفاوي، دار المنهاج، ط 2017/2، بيروت.

-ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، ط 2003/7، بيروت.

-ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **مفتاح دار السعادة**، تحقيق: عبد الرحمن بن قائد، دار عالم الفوائد، ط 1432/1 هـ، السعودية.

-كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، مؤسسة الرسالة، 1993، بيروت.

-لقبال، موسى، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 1979، الجزائر.

-الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد، **تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)**، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، ط 2005/1، بيروت.

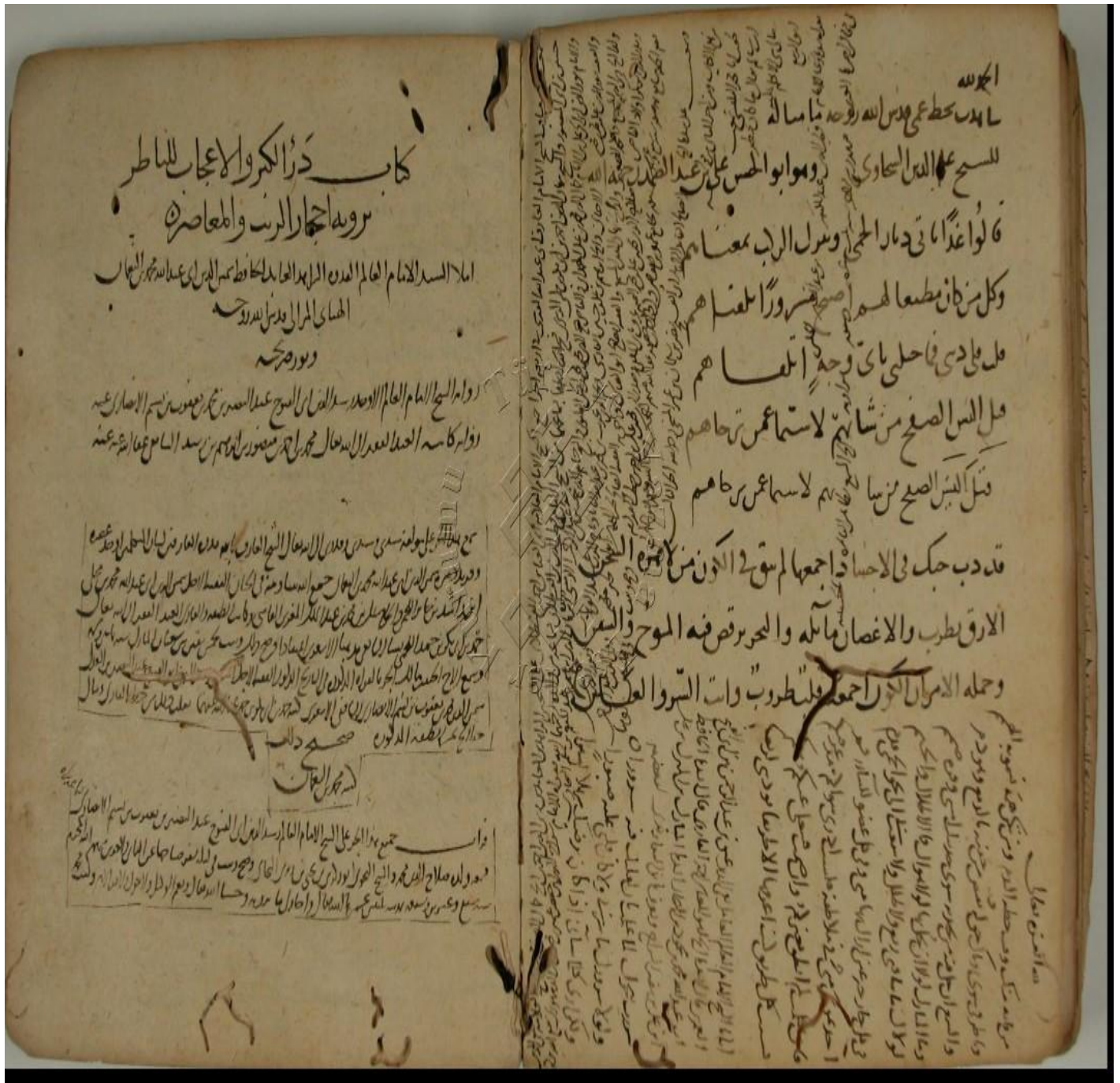
-الحاسبي، الحارث بن أسد، **الرعاية لحقوق الله**، بعناية: عبد الحليم محمود، دار المعارف، ط 2 (د.ت)، مصر.

-محمد، صادق محمد، **ديوان التخميس**، ديوان التخميس، دائرة المعارف الحسينية، المركز الحسيني للدراسات، ط 2013/1، لندن، 2013.

-ابن المعلم، محمد بن محمد القرشي، **نجم المهتدي**، تحقيق: بلال محمد حاتم السقا، دار التقوى، دمشق، ط 2019/1.

- المقريري، تقي الدين أحمد بن علي، **المقفى الكبير**، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/ 1991.
- المقريري، تقي الدين أحمد بن علي، **المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار**، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2003، لندن.
- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي، **طبقات الأولياء**، تحقيق نور الدين شريعة، مكتبة الخانجي، ط3/2006، القاهرة.
- المنائي، زين الدين محمد عبد الرؤوف، **الكواكب الدرية**، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر، 2003، بيروت.
- ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، **لسان العرب المحيط**، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت.
- ابن النعمان، أبو عبد الله محمد بن موسى، **مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام**، بعناية: حسين محمد علي شكري، دار الكتب العلمية، 2004، بيروت.
- ابن النعمان، أبو عبد الله محمد بن موسى، **سير أهل السلوك إلى باب ملك الملوك**، دراسة وتحقيق: عباس بن يحيى، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مجلد:20، عدد: 02، ص: 12. الرابط: <https://asjp.cerist.dz/en/article/255328>، 2026/01/07.
- ابن النعمان، أبو عبد الله محمد بن موسى، **مخطوط معرفة آفات الشيع**، مخطوط في مكتبة السليمانية بإسطنبول.
- ابن النعمان، أبو عبد الله محمد بن موسى، **مخطوط غنية الطالب**، مخطوط في مكتبة السليمانية بإسطنبول.
- النعمي، عبد القادر، **الدارس في تاريخ المدارس**، بعناية: عمار محمد النهار، وزارة الثقافة، 2014، دمشق.
- نويهض، عادل، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2/1980، بيروت.
- الهروي، عبد الله بن محمد الأنصاري، **منازل السائرين**، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، ط1/2007، مصر.
- الوزان، الحسن بن محمد الفاسي الإفريقي (ليون الإفريقي)، **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2/1983، بيروت.
- ولسون، كولن، **الشعر والصوفية**، ترجمة عمر الديراوي، دار الآداب، ط2/1979، بيروت.
- اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد، **مرآة الجنان**، بعناية: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1/1997، بيروت.
- اليونيني، أبو الفتح موسى بن محمد، **ذيل مرآة الزمان**، تحقيق: عباس هاني الجراح وأحمد زكي الأنباري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/2013.

صورة المخطوط، الورقة (1)



صورة المخطوط، الورقة (2)

